البعد الفكري والتربوي

في

نهج البلاغة

دراسة هادفة لنصوص من كلام البلغاء
من الوجهة الأدبية والفكرية

الدكتور عبدالرسول الغفاري



www.haydarya.com

البُعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة

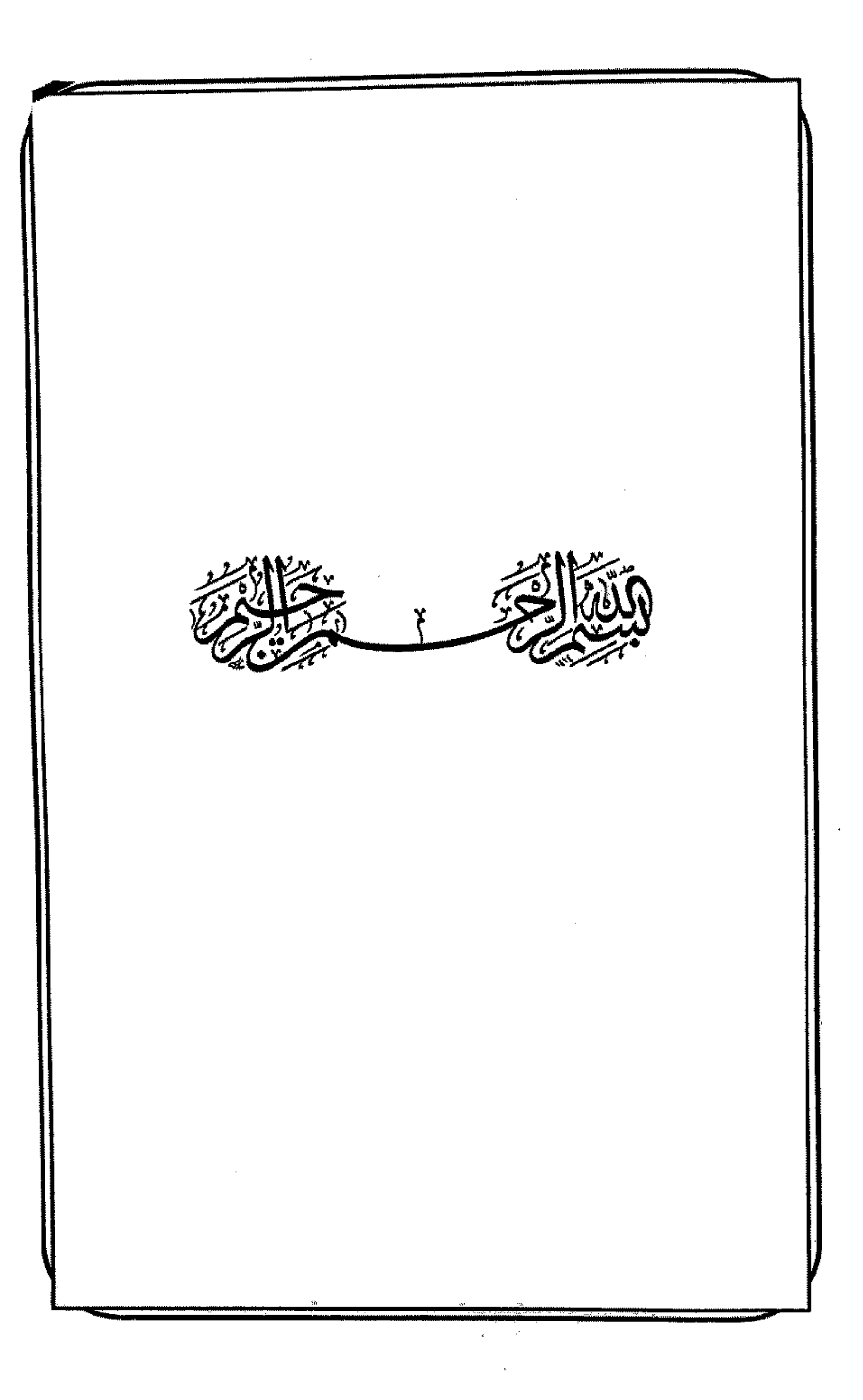
دراسة هادفة لنصوص من كلام سيد البلغاء

(من الوجهة الادبيه والفكرية)



تأليف

العلامة الدكتور عيد الرسول الغفاري
أستاذ مادة علوم القرآن في قسم الدراسات العليا
و عضو الهيئة العلمية بجامعة كاشان


بسم الله الرحمن الرحيم

الغفاري، عبد الرسول،
نهج البلاغه. برگزيده. شرح.
البُعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة؛ دراسة هادفة لنصوص من كلام سيد البلغاء (من الوجهة الأدبية والفكرية)/ عبد الرسول الغفاري.— قم: انصاريان، ۱۳۸۹ = ۲۰۱۰.
۲۰۰ ص.
ISBN: 978-964-219-142-0
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
۱. علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳قبل از هجرت — ۴۰ق. نهج البلاغه — نقد وتفسير. ۲. علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳قبل از هجرت — ۴۰ق. نهج البلاغه — مسائل ادبی. ۳. علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳قبل از هجرت — ۴۰ق. نهج البلاغه — مسائل لغوی. ۴. علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳قبل از هجرت — ۴۰ق. نهج البلاغه — تربيت اخلاقی. ۵. علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳قبل از هجرت — ۴۰ق. نهج البلاغه. شرح.
الف. عنوان.
BP۳۸/۰۲/غ۷ — ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۹ — شماره كتابشناسی ملی: ۲۰۹۲۷۱۵

البُعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة

دراسة هادفة لنصوص من كلام سيد البلغاء من الوجهة الأدبية والفكرية

تأليف: الدكتور عبد الرسول الغفاري
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الاولى ۱۳۸۹ - ۱٤۳۱ - ۲۰۱۰
المطبعة: قدس
الكمية: ۲۰۰۰ نسخة
عدد الصفحات: ۲۰۰ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي: 978-964-219-142-0 (ISBN)



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم – شارع الشهداء – فرع ۲۲
ص.ب ۱۸۷
هاتف: ۷۷٤۱۷٤٤ (۲٥۱) (۹۸) فاكس: ۷۷٤۲٦٤۷
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.netInt_ansarian@yahoo.com &
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الاطهار، وصحبه المنتجبين الاخيار، وبعد...

لقد اهتمّت المؤسسات العلميّة والجامعات الاكاديمية، والمراكز الثقافية والدينية في الجمهورية الاسلامية في ايران بتدريس اللغة العربية وآدابها، انطلاقا من كونها لغة القرآن الكريم. من هنا رحّبت كلية الاداب والعلوم الانسانية في هذه الجامعات في استقبال طلابها في قسم اللغة العربية، كما أولتهم رعاية فائقة من خلال تخصيص وحدات دراسية تشمل المواد التالية: المكالمة العربية، قسم المختبر الصوتي، علوم البلاغة، علم النحو والصرف، فقه اللغة، النقد الادبي، تاريخ الادب العربي، دروس من نهج البلاغة.ودروس آخرى تكميلية.

ولمّا كانت بعض المواد الدراسية لم تتوفر فيها الكتب المنهجيّة اللازمة التي تنسجم مع الوحدات الدراسية لكل مادة، ثم من الصعوبة أن يختار الاستاذ مصدرا ما مع الاخذ بنظر الاعتبار المادة المقررة، والساعات اللازمة، والطرح الخاص لكل فن من حيث الحجم والمحتوى، لذا وجدت من الانسب أن أختار نصوصاً من كلام سيد البلغاء ﷺ وأشرحها باسلوبي الخاص متّبنّيا الاسلوب المبسّط مع

اختيار المطالب النافعة التي تساهم في ثقافة طلاّبنا الجامعيين في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، والحمدلله كانت ثمرة جهودنا هذه المحاضرات التي بين يدي طلّابنا الاعزّاء في ماده (نصوص من نهج البلاغه) وقد اخترت من خطب أميرالمؤمنين عليه السلام (ستة) نصوص؛ النص الاول خطبةٌ في معرفة الخالق، تبدأ خطبته بقوله عليه السلام: (كل شيء خاضع له...) وهي في توحيد الله وبيان قدرته، وهي الخطبة رقم (١٠٦) من جمع الشريف الرضي، وقد وقع اختيارنا لها لكونها تشتمل على اصول الدين؛ التوحيد والعدل والنبوة، وهكذا تشتمل على أُصول المذهب (الامامة والمعاد)، وجعلناها في الفصل الاول، وأمّا الفصل الثاني فقد اخترنا خطبته التي تبدأ بقوله عليه السلام (بنا اهتديتم في الظلماء)، وهي تؤكّد على دور أهل البيت عليهم السلام في هداية الامّة، والفصل الثالث اخترنا من خطبة له عليه السلام في (صفة المتّقين)، اما الفصل الرابع فخصّصناه بخطبته التي يشير فيها الى (صفة المنافقين)، وجعلنا الفصل الخامس مختصّاً بخطبته عند (دفنه لسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام)، وجعلنا الفصل السادس مختصّاً بخطبته (الشقشقيّة)، ثم الفصل السابع وفيه (شذرات من غررالحكم) وهي اربعة نصوص مختصرة:

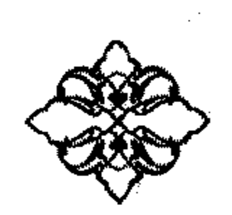
كان اختيارنا لهذه الخطب والنصوص وفق منهج مدروس، ولما فيها من مواعظ ومفاهيم واصول، لايمكن اغفالها، بل يحتاجها الطالب الجامعي والاستاذ والحوزوي، بل سائر الناس في حياتهم العملية، فبالإضافة الى كونها مادة تدّرس في الجامعات الاكاديميّة والمعاهد الدينيّة، فهي نصوص اخلاقيّة وادبيّة تستحق الاهتمام بشرحها وتدريسها وتعميمها في جميع المعاهد والدراسات العالية.

وقد سلكنا منهجاً يُعين الطالب على فهم النصّ، حيث بدأنا بمتن الخطبة ثم اشرنا الى المصادر التي نقلتها ـقبل الشريف الرضي وبعدهـ، ثم تبعناهُ بشرح المفردات وتبيان معانيها، ثم ذكرنا الاوجه البلاغية، ثم شرحنا الخطبة بشكل

لا هو بالموجز المخل ولا هو بالمطوّل المُمِل. وختمنا البحث بذكر بعض حِكَم أميرالمؤمنين عليه السلام راجياً الانتفاع بكل ما اوردناه، ومن الله التسديد وعليه الاتكال وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

عبدالرسول غفاري



الفصل الاوّل

من خطبة له عليه السلام

يصف فيها عظمة الله وجلالة قدرته

أوّلها: (كلّ شيء خاضع له ...)

تسلسل الخطبة في مصادر النهج

لتعميم الفائدة اذكر رقم تسلسل الخطبة في اهم الشروح لنهج البلاغة.

١ ـ شرح ابن ابي الحديد الخطبة تحت الرقم١٠٨[1]

٢ ـ شرح ابن ميثم البحراني الخطبة رقم ١٠٦[2]

٣ ـ منهاج البراعة ـ لقطب الدين الراوندي المتوفّى سنه ٥٧٣هـ. الخطبة رقم[3]

٤ ـ شرح المجلسي، الخطبة رقم ١٠٩[4]

٥ ـ نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح الخطبة رقم ١٠٩[5]

٦ ـ منهاج البراعة ـ لميرزا حبيب الله الخوئي، الخطبة رقم ١٠٨[6]

٧ ـ نهج الصباغة ـ محمّد تقي التستري، الخطبة رقم ١٠٥[7]

---

١. انظر: شرح ابن ابي الحديد ٧ / ١٩٤.

٢. انظر: شرح ابن ميثم ٣ / ٤٩.

٣. انظر: شرح الراوندي ١ / ٤٦١.

٤. انظر: شرح المجلسي ١ / ٣٧٨.

٥. انظر: شرح صبحي الصالح: ١٥٨.

٦. انظر: شرح الخوئي ٧ / ٣٠٦.

٧. انظر: شرح التستري ١ / ١٦٦.

٨ ـ مصادر نهج البلاغة واسانيده، عبدالزهرة الحسيني الخطيب، الخطبة رقم ١٠٧[١]

٩ ـ في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية، الخطبة رقم ١٠٧[٢]

كل شيٍ خاضع[٣]

وَ مِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام في بيان قدرة الله و انفراده بالعظمة و أمر البعث

قدرة الله

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ؛ وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ. مَنْ تكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ،وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ. لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ. لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلاَ اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَ لاَ يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَ لاَ يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلاَ يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَ لاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلاَ يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَ لاَ يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ، وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ. أَنْتَ الْأَبَدُ لاَ أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلاَ مَحِيصَ عَنْكَ، وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَ إِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ. سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ! وَ مَا أَصْغَرَ كُلِّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيما غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ!

---

١. انظر: مصادر النهج للحسيني الخطيب ٢ / ٢٢٧.

٢. انظر: شرح مغنية ٢ / ١٤١.

٣. رقم الخطبة: ١٠٦.

الملائكة الكرام

ومنها: مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمواَتِكَ، وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ، وَ لَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، وَ لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَ لَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ؛ وَ إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَ اسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَ قِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ؛ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَ لَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَ لَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَ لَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَ مَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَاراً، وَ جَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً: مَشْرَباً وَ مَطْعَماً، وَ أَزْوَاجاً، وَ خَدَماً، وَ قُصُوراً،وَ أَنْهَاراً، وَ زُرُوعاً، وَ ثِمَاراً، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَ لاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَ لاَ إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَ اصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَ مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَ أَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَ لِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَ حَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا؛ لاَ يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، وَ لاَ يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَ هُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ وَ لاَرَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَاكَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَ قَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَاكَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَ حَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ،

وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَ فِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ! وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَ أَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَ يَزْهَدُ فِيما كانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذي كانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَ لاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَ لاَ يَسْمَعُ رَجْعَ كَلاَمِهِمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ. فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ. وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ. لاَيُسْعِدُ بَاكِياً، وَ لاَ يُجِيبُ دَاعِياً. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَ انْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ.

القيامة

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَ الأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا، وَ أَرَجَّ الأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا، وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا. وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَ أَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ. ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ وَ خَبَايَا الأَفْعَالِ، وَ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هؤُلاءِ. فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَ لاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَ لاَ تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ، وَ لاَ تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، وَ لاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، وَ لاَ تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ. وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّدَارٍ، وَ غَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وَ قَرَنَ

النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ، وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ. فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَ بَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ، وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ، وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَ لاَ يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَ لاَ تُفْصَمُ كُبُولُها. لاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَ لاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

زهد النبي

و مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَ صَغَّرَهَا، وَ أَهْوَنَ بِهَا وَ هَوَّنَهَا. وَ عَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً، وَ بَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنْ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَن عَيْنِهِ، لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِياشاً، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَ دَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وَ خَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً.

أهل البيت

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَ مَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَ مُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَ عَدُوُّنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

*

مصادر الخطبة:

* رواها ابن عبد ربه المالكي في باب الخطب من العقد الفريد ٤/٧٦.
* رواها الزمخشري في باب الملائكة في ربيع الأبرار.
* رواها الآمدي في صفة النبي ﷺ.

صفة الخطبة وقائلها

في صفة هذه الخطبة قال ابن ابي الحديد: من أراد أن يتعلّم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمّل هذه الخطبة، فإن نسبتها الى كلّ فصيح من الكلام -عدا كلام الله ورسوله- نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة المظلمة الأرضية؛ ثم لينظر الناظر إلى ماعليها من البهاء، والجلالة والرّواء، والديباجة، وماتحدثه من الروعة والرهبة، والمخافة والخشية، حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث والنشور لهدّت قواه وأرعبت قلبه، وأضعفت نفسه، وزلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ماجزى به وليّاً من أوليائه، فما أبلغ نصرته له! تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره! إن قيل وعظ وتذكير، فهو أبلغ الواعظين والمفسّرين، وإن قيل: عدل وتوحيد، فهو إمام اهل العدل والموحدين[١].

وقال العلاّمة المرحوم مغنية:

إنّ هذه الخطبة اشبه بمسرحية ترسم حياة الإنسان ومايلاقيه في دنياه من حيرة ومتاعب، وما يحلّ به وبأهله عند حضور الموت وبعده، ترسم هذه الخطبة الإنسان وتصوره في جميع مراحله رسماً رائعاً من كل وجه حتى كأن الإمام هو ذلك الإنسان الّذي ذاق سكرات الموت، وحُمل على الاعواد، وتوسّد في القبر، وخرج منه للحساب، ورأى من الجنة والنار مارأى، ثم عاد إلى الدنيا ليخبر أهلها بما حدث معه بالذات ...[٢].

---

١. شرح النهج: ٧ / ٢٠٣، طبع دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢. في ظلال نهج البلاغة محمّد جواد مغنية: ٢ / ١٥٦، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.

صدر الخطبة

في صدارة المواضيع التي تطالعنا في نهج البلاغة هي مسألة التوحيد المتعلّقة بالخالق وماوراء الطبيعة، وربما نجد من بين خُطب الامام ورسائله وكلماته الحَكَمِيّة اكثر من خمسين مورداً تناول البحوث التوحيديه؛ منها بيان لآثار الصنع والابداع الربّاني، فقدّم لنا اميرالمؤمنين عليه السلام في خُطبه جانبا من ذلك الابداع فوصف لنا الخفّاش والجراد والطاووس و....

وإذا اخذنا بنظر الاعتبار الشروط الزمانية والمكانية نجد موارد كثيرة في نهج البلاغة استخدم فيها الامام عليه السلام الجانب العقلي لبيان واجب الوجود وحكمته وقدرته وقيموته على جميع الكائنات، وأنّه سبحانه الخالق المبدع المصوّر، وأنّ صفاته عين ذاته، لا زيادة ولا تغاير بينها ابدا، فهو منزّه عن الصفات السلبيّة، ومنزّه عن الجسمية، والحركة، والسكون، والزمان والمكان، والشبيه، والشريك، والمحدودية، والمعدودية، والتغيير والتبدّل، والنوم واليقظة، وكل ما من شأنه الضد والنقيض، أنّه منزّه عن كلّ هذا وما يندرج فيه من صفة الحدوث والامكان.

ولكي يعرض الامام عليه السلام كل هذه البحوث والمواضيع للفكر الانساني اتخذ من التأمّل والتحقيق في العالم المحسوس طريقا لإقامة البرهان في اثبات الخالق المطلق الذي لا يقبل التجزأة ولا التكثير، وهذا أحد الطرق الذي التجأ اليه الامام عليه السلام لبيان كمال الخالق، وحكمته، وتدبيره، وعلمه المطلق، وهذا الطريق نفسه وبذلك الاهتمام نجده في القرآن الكريم؛ أنّه النظر في (آيات الله)؛ النظر في المخلوقات وآثار الصنع، وما ذلك النظر إلاّ للوصول الى المعارف التي اراد القرآن من الإنسان أن يعرفها.

إنّ ما نفهمه من النظر في آثار الصنع أنّه يثبت لنا بشكل دقيق وواضح أنّ لهذا

العالم قوة مدبّرة حكيمة وعليمة، وأنّ هناك يداً قديرة تدير شؤون هذا العالم، وأنّ وراء هذا العالم الدنيوي ـ الطبيعة المرئية ـ عالم آخر لا يمكن أن نتحسّسه بالتجربة والمشاهدة، لأنه من الامور الغيبيّة، والمدبّر لتلك الامور هو الله سبحانه المستجمع للكمالات، بل هو الكمال المطلق.

ومن الطرق التي اعتمدها اميرالمؤمنين عليه السلام في البرهان على وحدة الخالق هو الجانب العقلي، وهذا يستلزم من الفرد التفكر والتدبّر في مفاهيم القرآن الكريم. ولو اخذنا مثالاً واحدا لادركنا عمق المعنى فيما يقوله اميرالمؤمنين عليه السلام في المسائل التوحيديه، فيقول عليه السلام: إنّ وحدة الذات لواجب الوجود ليست وحدة عددية بل هي نوع آخر من الوحدة غير قابلة للتكرار والتكثير، أيّ لا يمكن أن تعرض له ثانٍ.

وهذا المعنى لم يأتِ به أيّ عالم أو فيلسوف قبل اميرالمؤمنين ولا بعده، بل إنّ كلامه عليه السلام جاء مطابقا للرؤية القرآنية، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَٱلآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾.

وفي نهج البلاغه ترى البعد الفكري بشكل واضح في بيان المسائل التوحيدية مما يدفعنا أن نقول: إنّه فكر لم يسبقه سابق، ولم يلحقه لاحق؛ قال عليه السلام: «**الأحد بلا تأويل عدد**».

وقال عليه السلام: «**الحمدلله الذي لم يسبق له حال حالاً، فيكون اوّلا قبل أن يكون آخرا**».

وقال عليه السلام: «**لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات، سبق الاوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء ازله**».

معاني المفردات

لم تخلق الخلق لوحشة؛ الوحشة: الخلوة مع الهم.

مفزع كل ملهوف؛ فزع: التجأ والمفزع: الملتجأ. قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ (١)

الملهوف: المتعطّش، المظلوم الّذي يستغيث. واللهف: الحزن.

إليه منقلَبُهُ: أي إلى الله مرجعه و مصيره. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢)

ولايفلتك: لاينفلتُ منك.

فلا أمد لك: أي لانهاية لك. فلا محيص عنك: أي لاعدول عنك. حاص عن الشي أي عدل، وهرب، والمحيص: المهرب.

الناصية: الشعر المترسل في مقدم الرأس أي شعر الجبهة، وقال الأزهري: منبت الشعر. قال تعالى: ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا.. ﴾ (٣)

نسمة: أي ذي روح أو ذي نفس.

ما اصغر كل عظيمةٍ في جنب قدرتك: كل شيء يتناهى في الصغر إلى عظيم قدرة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٤)

الهول: الشيء العظيم.

ما أسبغ: ماأكمل.

المهين: الضعيف، الحقير، ويريد به النُطفة.

المنون: الدهر. والريب صَرْفُهُ، أي لم تفرّقهم صروف الزمان (أي الموت).

تشعّب، بمعنى شعب. وتشعّبت اغصان الشجرة أي تفرقت.

---

١. النحل: / ٥٣.

٢. السجدة: / ١١.

٣. هود: / ٥٦.

٤. ابراهيم: / ١٩ و ٢٠.

كنه الشيء: غايته وحقيقته. خفي الشيء: أي انستر. حقرت الشيء واحتقرته استحقرته أي استصغرته، وحقّرته: صغّرته، والشيء الحقير: أي الصغير.

زرى عليه: عابَهُ، والازراء التهاون بالشيء.

البلاء: يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعيّن الاول باضافة الحسن إليه، أي ماعبدوك إلا شكراً لنعمتك عليهم.

المأدُبة: الطعام الذي يؤدب إليه الناس، أي يدعى إلى أكله، وهو يصنع في عرس ونحوه، والمراد منها هنا نعيم الجنة. أعشى بصره: اعماه. خرقت: مزّقت. وَلِه؛ من الوله: الرجل إذا تحيّر من شدّة الوجد. على الغرّة، بكسر الغين: بغتة وعلى غفلة.

ولوجاً: دخولاً، ولج الموت في اعضائهم: أي دخل فيها الموت لفتورها، وذلك بذهاب الحياة والقدرة والشهوات عنها.

اللّب: العقل (الفكر).

اغمض: لم يفرّق بين حلالٍ وحرامٍ، كأنّه اغمض عينيه فلايميّز.

المصرح: خلاف المشتبه وهو الظاهر البيّن.

تبعاتها، بفتح ثم كسر: مايطالبه به الناس من حقوقهم فيها، ومايحاسبه به الله من منع حقّه منها وتخطّي حدود شرعه في جمعها، والتبعات جمع التبعة وهو الاسم.

المهْنأ والهني بمعنى: من هنأت الطعام: أي مهنّأته. وهو اللذيذ السائغ بلاتنغيص. قال تعالى: ﴿**كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ ...**﴾[1]

المرء قد غفلت رهونُهُ: أي هلكت نفسه بها، وان المرتهن استحقه اذا لم يفكّه الراهن في الوقت المعيّن.

وبمعنى اقرب: إنّ الراهن اعوزته القدرة على تخليص نفسه. وهذا كناية عن

---

١. الحاقة: / ٢٤.

تعذّر الخلاص.

أصحر له: من أصحَر إذا برز إلى الصحراء، أي على ماظهر له وانكشف من امره.

الغبطة: من الفرح وهو التمنّي مثل ما عند الغير.

خالط لسانَه سمعه: شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته.

يردّد طرفه: يكرّر النظر

التياطاً: التصاقاً به. الاسعاد: الاعانة

مخطّ الارض: مكان الدفن كناية عن (القبر)، يخطّ اوّلا ثم يحفر.

زورته: زيارته.

أماد السماء: حرّكها على غير انتظام، وروي: أمار. و مار يمور: إذا جاء وذهب.

فطرها: أي شقّها، صدعها.

ارّج الأرض: أي حرّكها مع رجيج وصوت، زلزلها.

أرجفها: جعلها مضطربة، والرجفة: الزلزلة الشديدة.

نسفها: قلعها. دك: أي دقّ.

إخلاقهم: من قولهم: ثوب خَلِق أي بالٍ (قديم) والمراد: أن البِلى يشملهم كما يشمل الثياب البالية.

ثم ميّزهم لمايريد: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[1]

الخبايا: جمع خبيّة، وهي الشيء المستور.

انتقم من هؤلاء: اقتصّ منهم.

لاتنوبهم الأفزاع: تنوبهم: تنتابهم. الأفزاع مفردها الفزع بمعنى الخوف.

ظعن: بمعنى سار وارتحل.

الأخطار: الاشراف على الهلاك.

---

١. يس: / ٥٩.

اشخصه: أزعجه. وشخص بمعنى خرج من موضع إلى غيره.

قرن النواصي بالاقدام: كناية عن الاغلال تجمع الاعناق الى الأقدام.

سرابيل القطران: السربال: القميص. القطران: شيء أسود لزج منتن يطلى به الإبل.

وقيل هو دواء محرق يتخذ من شجرالعرعر يطلى به الإبل الجرباء.

المقطّعات: كل ثوب يُقطّع كالقميص والجبة ونحوها. بخلاف مالايقطّع كالإزار والرداء. وقيل المقطعات: قصار الثياب. و مقطعات النيران: أي ثياباً منها.

باب قد أطبق: أي اغلق.

الكَلَب: الشدّة وهي كناية عن هيجانها. يقال: كَلَبَ الدهر على أهله إذا الحّ عليهم واشتد.

لَجَبٌ: الصياح؛ الصوت المرتفع.

لهب ساطع: أي عالٍ.

قصيف هائل: صوت كأشد مايكون.

ولاتفصم كبولها، لاتفصم: لاتنقطع. وتفصم من الفصم وهو كسر الشي من غير ابانة. الكبول: القيود. مفردها كَبْل.

حقَّر الدنيا: صغّرها. وبالتخفيف أي استصغرها.

أهون بها: لم يعتد بها ولم تكن عزيزة عليه، وهوّنها: اذلّها.

زواها: قبضها.

الرياش: اللباس الفاخر والزينة.

مُعذِراً: مبيّناً لله حجةً تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره.

مُختلَفُ الملائكة: محل اختلافهم أي ورود واحد منهم بعد الآخر، فيكون الثاني كأنه خَلَف للأوّل وهكذا.

ينابيع الحُكم: أي الحكمة. وروي بكسر الحاء وهي جمع حكمة.

مضامين مقتبسة من القرآن الكريم

بلاغة أمير المؤمنين ﷺ لا تنفكّ عن المعاني القرآنية، بل إنّ الكثير من عباراته الشريفة تعود إلى جملة من الآيات البيّنات، منها:

قال ﷺ: كل شيء خاضع له -وتروى خاشع- استفاد من الآية الكريمة -وآيات أُخر- ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّماوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[1]

وقال ﷺ: (وكل شيء قائم به): استفاد من قوله تعالى:
﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾[2]

وقال ﷺ: (غنى كلّ فقير): استفاد من قوله تعالى:
﴿ **وَلِلَّهِ خَزَائِنُ ٱلسَّماوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[3] بل في العبارة اشارة الى آيات عديدة.

وقال ﷺ: (وعزّ كل ذليل) تنبؤك العبارة الى قوله تعالى:
﴿ **أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾[4]

وقال ﷺ: (وقوّة كل ضعيف) في العبارة تلويح الى قوله تعالى:
﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ** ﴾[5]

ويشهد لجميع ماتقدم قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**

---

١. النحل: / ٤٩.
٢. الرعد: / ٣٣.
٣. المنافقون: / ٧.
٤. النساء: / ١٣٩.
٥. النحل: / ٥٣.

قَدِيرٌ تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]

وقال ﷺ: (من تكلّم سمع نطقه، ومن سكت علم سرّه)

في عبارته اشارة الى قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾[2]

وهكذا اشارة الى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾[3]

وقال ﷺ: (ومن عاش فعليه (رزقه) في العبارة تضمين لقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ... ﴾[4]

وقال ﷺ: (ولايسبقك من طلبت) تضمين لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾[5]

وقال ﷺ: (ولايفلتك من اخذت) فيها تضمين لقوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[6]

وقال ﷺ: (ولاينقص سلطانك من عصاك) في قوله تضمين لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَحْزُنْكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئاً ﴾[7]

وقال ﷺ: (ولايزيد في ملكك من أطاعك) في عبارته تضمين لمعنى الآية

---

١. آل عمران: / ٢٦ و٢٧.

٢. الرعد: / ١٠.

٣. طه: / ٧.

٤. هود: / ٦.

٥. الرعد: / ١١.

٦. القمر: / ٤٢.

٧. آل عمران: / ١٧٦.

الكريمة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[١] وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[٢]

وقال ﷺ: (كل سرّ عندك علانية) في العبارة تضمين لمعنى الآيـة الكـريمة: ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاَّ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٣]

وقال ﷺ: (وكل غيب عندك شهادة) في العبارة تضمين لمعنى قوله تـعالى: ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٤]

وقال ﷺ: (وأنت المنتهىٰ لا محيص عنك) في عبارته تضمين لمعنى الآية: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[٥]

وقال ﷺ: (ولا منجي منك إلا إليك) في كلامه تضمين لمعنى الآية: ﴿ وَظَنُّوا أَن لاَمَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾[٦]

وقال ﷺ: (بيدك ناصية كل دابّة) في كلامه تضمين لمعنى الآية: ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٧]

وقال ﷺ: (و ما أهول ما نري من ملكوتك، وما أحقر ذلك في ما غاب عنّا من سلطانك)، في كلامه إشارة إلى آيات عديدة تكشف عن عظمة الخالق وقدرته المطلقة و لا يعجزه شيء. قال تعالى: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَماوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

١. فصلت: / ٤٦.

٢. القمر: / ٤٢.

٣. هود: / ٥.

٤. الانعام: / ٧٣.

٥. النجم: / ٤٢.

٦. التوبة: / ١١٨.

٧. هود: / ٥٦.

الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١]

قوله ﷺ: (حتى إذا بلغ الكتاب أجله والأمر مقاديره) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٢]

قوله ﷺ: (أماد السماء و فطرها) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾[٣] أو من قوله: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَاءُ مَوْراً ﴾[٤] أو قوله تعالى: ﴿ ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾[٥]

قوله ﷺ: (و أرجّ الأرض وارجفها) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً ﴾ وهكذا من سورة النازعات قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾[٦]

قوله ﷺ: (وقلع جبالها ونسفها) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً ﴾[٧].
ومثله في سورة الواقعة والمزمل.

قوله ﷺ: (وغلّ الأيدي إلى الأعناق) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[٨] ومثله في سورة يس: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾[٩].

---

١. الطلاق: / ١٢.
٢. الحجر: / ٢١.
٣. الانفطار: / ١.
٤. الطور: / ٩.
٥. المزمل: / ١٨.
٦. النازعات: / ٦ و٧.
٧. طه: / ١٠٥ـ١٠٧.
٨. غافر: / ٧١ـ٧٢.
٩. يس: / ٨.

قوله ﷺ: (وقرن النواصي بالأقدام) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾[1].

قوله ﷺ: (وألبسهم سرابيل القطران) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[2]

قوله ﷺ: (في عذاب قد إشتدّ حرّه وباب قد أطبق على أهله) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[3]

الأوجه البلاغية

(غني كل فقير)

أطلق عليه تعالى لفظ الغني، وهو مجاز إذ أطلق اسم السبب على المسبب. ولابدّ أن يحمل الفقر على ما هوأعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة، كما أن الغني هو سلب مطلق الحاجة.

(بيدك ناصية كل دابّة)

الناصية منبت الشعر واطلاقها على الشعر مجاز من باب تسمية الحال باسم المحل.

(ثم حملوه إلى مخط في الأرض)

المخط: موضع الخطّ، كناية عن القبر. يخطّ أولاً ثم يحفر.

---

١. ابراهيم: / ٤١.

٢. ابراهيم: / ٤٩ ـ ٥٠.

٣. الحج: / ٢٠.

(خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة ثم أرسلت داعياً)

في لفظ الدار استعارة للجنة، ولفظ المأدبة للشهوات، والداعي إليه النّبي محمّد ﷺ، وربما قيل لفظ الدار استعارة للإسلام لانّ الدين يجمع اهله ويحميهم كالدار، والإستعارة الثانية وجهها أنّ الجنة مجتمع الشهوات ومنتجع اللذات كالمأدبة، ثم في النص ثمانية منصوبات كلها تمييز للمأدبة.

جاء في الخبر المروي عن الرسول ﷺ: «إنّ الله جعل الإسلام داراً، والجنة مأدبة، والداعي اليها محمّداً ﷺ».

(اقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها)

استعار لفظ الجيفة للدنيا، ووجه المشابه أنّ لذات الدنيا ومُتَعَها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها ومهروب منها ومستقذرة كالجيفة، واستعار لفظ الإفتضاح للإشتهار بإقتنائها وجمعها والخروج بها عن شعائر الصالحين، و وجه الإستعارة أنّه لما كان الإقبال على جمع الدنيا والإشتغال بها عن الله من اعظم الكبائر و المساويء المتعارف قبحها لا جرم أشبه الإشتهار بجمعها وأنكشاف الحرص عليها بالإفتضاح.

وكنّى بأكلها (الجيفة) عن جمعها.

(ومن عشق شيئاً أعشى بصره)

استعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول بالمحسوس، ولفظ الإعشاء لظلمة الجهل ملاحظة للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل. واسناد الإعشاء إلى الدنيا يحتمل أن يكون حقيقة لما يستلزمه حبّها من الجهل والغفلة عن أحوال الآخرة. ويحتمل أن يريد بالبصر حقيقة، ويكون لفظ الإعشاء

مستعاراً لعدم استفادتهم بأبصارهم عبرة تصرفهم عن حبّ الدنيا إلى ملاحظة أحوال الآخرة.

(فهو ينظر بعين غير صحيحة)

كنّي بعدم صحتها عمّا يلزم العين غير الصحيحة من عدم الإنتفاع بها في تحصيل الفائدة. واستعار لفظ المرض للداء الأكبر وهو الجهل استعارة لفظ المحسوس للمعقول.

(فهو يسمع باذن غير سميعة)

كنّي بذلك عن عدم إفادتها عبرة من المواعظ والزواجر الإلهية.

(قد خرقت الشهوات عقله)

استعار لفظ التخريق لتفرّق عقله في مهمات الدنيا ومشاغلها. ووجه الإستعارة أنّ العقل إذا استعمل فيما خلق لأجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد، والإستدلال منها على وجود الصانع، وما ينبغي له من تعميق الإيمان في النفس، فانّه يكون منتفعاً بهذا العقل، واماإن استعمله في شهوات الدنيا فسوف يلازمه الهم والأسف على فوات تلك الشهوات، ويلزم الحرص على جمع المال بايّ طريق كان، فهذا عقله كالثوب المخرّق الذي لا ينتفع به صاحبه.

(وأماتت الدنيا قلبه)

استعار لفظ الإماتة لقلبه، ووجه المشابهة خروجه عن الإنتفاع به الإنتفاع الحقيقي كالميت لا ينتفع به.

(وولهت عليها نفسه)

الضمير في (عليها) يعود إلى الدنيا،وكنّي بالوله عن شدة المحبة لها، واطلقه مجازاً تسمية الشيء بما هو من غاياته.

(فهو عبد لها)

استعار لفظ العبد لكونه محبّها والمتجرد لتحصيلها، فإن كانت في يده اقبل عليها بالحفظ والإعمار وإن زالت عنه أنصبّ إلى تحصيلها، فهو كالعبد لها، بل أخس حالاً.

(ازداد الموت فيهم ولوجاً)

استعار لفظ الولوج لما يتصوّر من فراق الحياة لعضوٍ عضو، فأشبه ذلك دخول الجسم في جسم الآخر.

(والعبء على ظهره)

استعار لفظ العبء للآثام التي تحملها النفس،وفي لفظ الظهر استعارة ترشيحية،إذ استعار لفظ المحسوس للمعقول.

(فهو يعضّ يده)

كناية عمّا يلزم ذلك من الأسف والحزن والندم على تفريطه في جنب الله حيث انكشف له حال الموت انقطاع سببه من الله قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾[1]

هكذا العاصي المتمرّد على ساحة الرب يتحسّر على ذلك التفريط كما قال تعالى:

---

١. الفرقان: /٢٧.

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ ﴾[1]

(وألبسهم سرابيل القطران)

استعار لفظ السرابيل للهيئات البدنية المتمكّنة من جواهر نفوسهم. وجه المشابهة اشتمالها عليها وتمكّنها منها كالسربال للبدن ونسبتها إلى القطران إشارة إلى شدة استعدادهم للعذاب.

(مقطّعات النيران)

اشارة إلى تلك الهيئات التي تمكّنت من جواهر نفوسهم ونسبتها إلى النار لكونها ملبوس اهلها، قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ ﴾[2]

(والمرء قد غلقت رهونه)

فيه استعارة تمثيلية، والغرض تشبيه حال هذا المرء المحجوب عن الترقي إلى مدارج الكمال الغيرالمتمكن من الوصول إليها بجمع تلك الأموال بحال من غلقت عليه أمواله المرهونه في مقابل دين المرتهن في عدم امكان وصوله إليها ومحجوريته عنها، أو أن رهونه استعارة لبعض ما فعله من الأعمال الصالحة، وذكر (الغلق) ترشيح وتشبيه تلك الأعمال بالرهن باعتبار عدم تمكّنه من الإنتفاع بها ومحجوبيّته عنها بما جمعه من الأموال فصارت تلك الأموال حاجبة مانعة عن انتفاعه بها بمنزلة دين المرتهن المانع عن تصرف الراهن في العين المرهونة الموجب لحجره عنها وعن استفادته بها، وإنماصارت تلك الأموال سبباً للحجب

---

١. الزمر: / ٥٦.

٢. الحج: / ١٩.

والمنع عن الإنتفاع لكون حق الناس مقدماً على حق الله، لذلك كان أول عقبات القيامة موضوعة للحكم بين الناس وأخذ المظالم. والله العالم بحقائق الأمور.

(في نار لها كلب ولجب)

استعار لأوصاف النار المحسوسة المستلزمة للهيبة والخوف حسّاً للنار المعقولة التي هي في الحقيقة أشدّ ـ نستجير بالله منها ـ وإنما عدل إلى المحسوس للغفلة عن صفات تلك النار وعدم تصور اكثر الخلق لها إلاّ من هذه الأوصاف المحسوسة.

(لا يظعن مقيمها)

كناية عن التخليد وهذا في حق الكفار.

(و لا يُفادَى أسيرها)

لفظ الأسير والفدية استعارة.

(ولا تفصم كبولها)

لفظ الكبول استعارة لقيود الهيئات البدنية المتمكّنة من جواهر نفوس الكفّار، فكما لا ينفصم القيد الوثيق من الحديد ولا ينفكّ المكبّل به كذلك النفوس المقيّدة بالهيئات الرديئة البدنية فهي لا تنفكّ عمّا يصيبها من العقاب المؤبّد فلا خلاص من العذاب للزوم الملكات الرديئة لأعناق نفوسهم.

شرح الخطبة

جاء في النص المتقدّم بيان لأهم الإمور التي ينبغي على كل فرد أن يعي ما له

وما عليه من الواجبات و الفرائض، وفي مقدّمتها الجانب العقائدي، وهو توحيدالله سبحانه وتعالى، وتنزيهه عن كل الصفات السلبية.

في الفقرات الأولى عبارات تؤكد على توحيد الله وتنزيهه وتعظيمه، ولو أنعمنا النظر فيها لوجدنا هناك صفات ثبوتية، و أخرى سلبية، قد أشار اليها اميرالمؤمنين عليه السلام.

امّا الصفات الثبوتية فهي عشرة:

أولاً: خشوع كلّ شيء له. والخشوع في الجوارح والقلب كما في قوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ ...خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴾[3]

هذا في الإنسان، وفي الجماد بل سائر المخلوقات نوعٌ من الخشوع لله سبحانه، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هٰذَا ٱلْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ... ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً ... ﴾[5]

نستخلص من مجموع الآيات الكريمة المتقدّمة أنّ الخشوع يصحبه الخوف و الإذعان،وأنّ فاعله يرى أنّ من يخشع له إنّما هو فوقه وأنّه أعظم منه، وأنّه يخشع له من دون تكلّف، لهذا يضاف إلى القلب فيقال خشع قلبه، و لا يقال خضع قلبه.

والخضوع هو التطامن والتطأطأ ولا يقتضي أن يكون معه خوف، ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب فيقال خضع قلبه،نعم، يجوز أن يخضع الإنسان تكلّفاً

---

١. طه: / ١٠٨.

٢. القمر: / ٣.

٣. الحديد: / ١٩.

٤. الحشر: / ٢١.

٥. فصلت: / ٣٩.

من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، وهذا على العكس من الخشوع كما تقدّم. وقيل إنّ الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر.

قال الفيروز آبادي: الخشوع: الخضوع أو قريب من الخضوع أو هو في البدن، و الخشوع في الصوت و البصر.[١]

وقال ابن سيدة الأندلسي: خشع يخشع خشوعاً وتخشّع رمي ببصره نحو الأرض، وخفض صوته[٢].

ويناسب هذا التفسير ما جاء في الصحيفة السجادية: «فمثل بين يديك متضرّعاً، وغمض بصره إلى الأرض متخشّعاً»[٣] هذه الصفة الاولى من الصفات الثبوتية:

ثانياً: قيام كلّ شيء به، أي ليس شيء من المخلوقات يقوم بذاته في الوجود، بل هو مفتقر إليه سبحانه في كل آن. وعليه ثبت أنه القيّوم المطلق، إذن مفهوم القيّوم هو القائم بذاته المقيم لغيره.

ثالثاً: غنى كل فقير. والفقر هو مطلق الحاجة،كما أنّ الغنى هو سلب مطلق الحاجة، وإذا ثبت أنّ كل موجود مفتقر في بدئه ومنتهاه إليه سبحانه ثبت أنّه تعالى رافع حاجة كل موجود، وهو المراد بكونه الغني. وفي العبارة مجاز إذ أطلق إسم السبب على المسبب.

رابعاً: عزّكل ذليل: العزيز هو الخطير؛ الذي يقل وجود مثله، وتشتدّ الحاجة إليه، و يصعب الوصول إليه. هذه ثلاث مواصفات؛ من إتّصف بها كان عزيزاً، و لا يتّصف بها على وجه الإطلاق و الكمال إلا هو سبحانه.

ويقابل العزيز: الذليل،لذا فانّ كل ذليل محتاج إليه.

---

١. القاموس مادة (خ ش ع)، أنظر المفردات للراغب الاصفهاني، مادة الخشوع: ٢١٣، والخضوع ٢١٥.

٢. المحكم: ١ / ٦٨.

٣. الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢٤.

خامساً: وقوة كل ضعيف؛ القوة تطلق على كمال القدرة و على شدة الممانعة والدفع، ويقابلها الضعيف، وإطلاق لفظ القوة كإطلاق لفظ الغني.

روي أن الإمام الحسن ﷺ قال: وا عجباً لنبي الله لوط ﷺ إذ قال لقومه: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[1].

أتراه أراد ركناً أشد من الله تعالى ؟!

سادساً: أنّه مفزع كلّ ملهوف: أي إليه ملجأ كل مضطر في حال الحزن أو الخوف أو الظلم. قال الله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾[4].

و قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ ﴾[5]. وعليه إنّ وجوه اللهف والإضطرار غير معدودة، و جهات الحاجة و الإفتقار غير محصورة، ولا يقدر على الإجابة -على كثرتها- إلا الله سبحانه القادر المطلق، و أمّا غيره فلا يتّصف بتلك القدرة المطلقة بل إنّ مفزع الناس إليه -لو حصل- فهو المفزع على وجه المجاز لا الحقيقية، وإتّصافه به إضافي لا حقيقي، وخير مثال يجسّد لنا مفزع العباد إلى الله ما روي في كتاب التوحيد، أنّ رجلاً قال للإمام الصادق ﷺ:

يا ابن رسول الله ﷺ دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني.

فقال (ع):يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟

---

١. هود: / ٨٠.

٢. النحل: / ٥٣.

٣. الإسراء: / ٦٧.

٤. الانعام: / ١٧، يونس: ١٠٧.

٥. الروم: / ٣٣.

قال: بلى.

قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك؟

قال: بلى.

قال عليه السلام فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟

قال: بلى.

قال الإمام عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.

سابعاً: من تكلّم سمع نطقه.

ثامناً: من سكت علم سرّه.

هاتان الصفتان تؤكّدان على أنّ الله سبحانه مدرك للمسموعات و المبصرات في الأزل كإدراكه لها في الأبد من غير تفاوت بينهما أصلاً، ويسند هذا المعنى قول الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (لم يزل الله عزّ وجل ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور)[1].

وعليه، فسبحانه محيط بما أظهره العبد وأبداه، خبير بما أسرّه وأخفاه في حالتي نطقه وسكوته قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[3].

تاسعاً: من عاش عليه رزقه.

عاشراً: من مات إليه منقلبه.

---

١. أصول الكافي، بسنده عن أبي بصير.

٢. فصلت: / ٥٤.

٣. الطلاق: ١٢.

إعلم: أنّه سبحانه مبدء للعباد في وجودهم فهو رازقهم، ومنتهى وجودهم إليه وغاية لهم، فهو مرجع العباد في الحياة وبعد الممات كما هو مرجعهم في كونهم أحياء وفي كونهم أموات.

وامّا الصفات السلبية، فهي:

أوّلاً: لم تَرَكَ العيون فيخبر عنك.

لم ترك العيون -إخبار عن الغائب- فيخبرعنك ،إلتفات إلى الخطاب وهذا من محاسن البلاغة كقوله تعالى: (إيّاك نعبد) وهذا الإلتفات يستلزم شدّة عناية المتكلّم بالمعنى المنتقل إليه. فالرؤية -لك- ممتنعة من العيون، وبإمتناع الرؤية يمتنع إخبارها عنك.

في كلامه ﷺ تنزيه للباري عن وصف المشبّه وإخبارهم عنه بالصفات، إذ لو صحّ إخبار العيون عنك لكانت قد رأتك ،لكنّها لم ترك فلم تصحّ أن تخبر عنك، فالنفي يؤكد تنزيهه عن الجسمية ولواحقها المستلزم لإمتناع الرؤية لكذب الإخبار عنه.

ثانياً: لم تخلق الخلق لوحشة:تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستأنس.

ثالثاً: ولا أستعملتهم لمنفعة؛ إنّ جلب المنفعة و دفع المضرّة من لواحق المزاج،و هو منزّه سبحانه عن هذا الجلب و ذاك الدفع، أي لم يخلقهم لغرض منفعة تعود إليه.

رابعاً: لا يسبقك من طلبت؛ أي لا يفوتك هرباً.

خامساً: ولا يفلتك من أخذت؛ أي لا يفلت منك أحد بعد أخذه. هذا الوصف والذي سبقه تأكيد فيهما على كمال قدرته و تمام ملكه، بينما ملوك البشر قد يفلت من قبضتهم الأسير، فيهرب وينجو بحيلة و ما شابه.

سادساً: ولا ينقص سلطانك من عصاك، بل علا سلطانه و جلّت قدرته، وخفي مكره، و على العكس: ملوك الدنيا، فإنّ كمال سلطان أحدهم إنما هو بزيادة جنوده وكثرة مطيعيه و قلّة مخالفيه.

سابعاً: ولا يزيد في ملكك من أطاعك؛ هذه الصفة والتي سبقت فيهما تنزيه له سبحانه من أحوال الزمان.

ثامناً: و لا يردّ أمرك من سخط قضاءَك؛ المراد بالأمر هو الأمر التكويني أي القدر النّازل وفق القضاء الإلهي وهو المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[1].

ففي العبارة دلالة على كمال قدرته وعموم سلطانه لإفادته أنّ كلّ ما علم وجوده فلا بدّ من وجوده، سواء كان محبوباً للعبد أو مبغوضاً له. وعليه، فالساخط للقضاء عاجز عن ردّ الأمر الإلهي.

تاسعاً: أنّ من تولّى عن أمر الله فهو إليه أشدّ فقراً و أنقص ذاتاً، فمن أدبر عن خالقه ولم يرض بقضائه وقدره لا يمكن إستغناؤه عنه وإنقطاع إفتقاره منه.

ومن أجلى المصاديق لتوضيح هذا الإفتقار ما رواه الصدوق في كتابه؛ بإسناده عن سعد الخفاف، عن الإصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: إن كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه، وإن كنت واليت عدوّه فاخرج من ملكه، وإن كنت غير قانع بقضائه وقدره فاطلب ربّاً سواه.

عاشراً: كلّ سرّ عندك علانية؛ إشارة إلى كمال قدرته و كمال علمه وإحاطته، لا يحجبه شيء عن شيء وفوق كل شيء، وليس فوقه شيء حتّى يقصرعن إدراكه.

الحادي عشر: كلّ غيب عندك شهادة؛ إنّه محيطٌ بجميع المعلومات فما هو

---

١. يس: / ٨٢.

غيب عندنا عنده مكشوف معلوم قد أحاط به، وهذا منتهى كماله.

الثاني عشر: أنت الأبد فلا أمد لك؛ أي أنت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك، وهذايعني إستلزام وجوب وجوده وإمتناع عدمه.

الثالث عشر: وأنت المنتهى فلا محيص عنك؛ أي إليه مصير الخلائق، ووقوفهم عنده، وإليه إنتهاؤهم وإيابهم، قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[٣]. إنه سبحانه يجزي كل أحد ما يستحقّه من الثواب والعقاب، فلا محيد عن حكمه ولا مهرب عن أمره.

الرابع عشر: وأنت الموعد فلا منجا منك إلّا إليك؛ موعده الحق، لا تخلّف فيه.

والنجاة به سبحانه لا محيص ولا تبديل، فلاعاصم من عذابه إلا هو سبحانه فبإحسانه و لطفه وكرمه يقبل التوبة من عباده والإنابة إليه.

الخامس عشر: بيدك ناصية كلّ دابّة؛ تأكيداً لقوله تعالى: ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِهَا ﴾[٤].

وهذا تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل، والعرب إذا أسّرت أحداً وأرادت إطلاقه والمنّ عليه جزّوا ناصيته وذلك علامة لإذلاله وقهره.

السادس عشر: وإليك مصير كل نسمة؛ أي مرجع كل روح.

هذه ستوعشرون صفة من صفاته الثبوتية والسلبية، ذكرها أمير المؤمنين ﷺ على وجه بيان قدرة الله وعظمته وكمال علمه وأحاطته بالأشياء، ثمّ نزّهه وقدّسه

---

١. النجم: / ٤٢.

٢. المائدة: / ١٠٥.

٣. الغاشية: / ٢٦.

٤. هود: / ٥٦.

عن الأوهام فقال: (سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك...) وهو في معرض التمجيد، فالحق كذلك فان ما نشاهده من مخلوقاته في الأرض والسماء و البحار والهواء مما لا يتناهى إلى حدٍ و لا يمكن أستقصاؤه، بل الذي غاب عن المشاهدة هو أكثر مما نشاهده، وما وصلت إليه العقول فهو قليل بالقياس إلى ما غاب عنها وحجبت عن إدراكه.

الملائكـــة

لما ذكرﷺ أوصاف العظمة و الكبرياء للربّ سبحانه عقّبه بذكر أوصاف ملائكة السماء، وما هم عليه من القدس و الطهارة و الفضائل الجمّة والكمالات العديدة التي إمتازوا بها على المخلوق الأرضيّ من الإنس والجنّ،فهم أعلم بخالقهم من الإنسان، وهم أشدّ خوفاً من غيرهم وأكثرهم خشية له سبحانه.

ولما كانﷺ في صدد بيان عظمة الله تعالى وجلالة قدرته، جعل من ذلك التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الأشرف فالأشرف؛ فبدأ فقرته الثانية بكلمة: (من ملائكة)و(من) هنا لبيان الجنس، ثم أشارﷺ إلى أفضلية الملائكة بذكر جملة من أوصافهم فمنها:

١. أعلم الخلق بالله، هم وسائط لغيرهم في وصول العلم و الكمالات إلى الخلق.

٢. هم أخوف له، لأنهم أعلم بعظمة الله، لأن العلم كلّما كان أكمل كان الخوف أشدّ و آكد والخشية كذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾ . وإنما خصّ العلماء بالخشية لأن العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل.

٣. كونهم أقرب المخلوقات إليه سبحانه،والمراد بالقرب المنزلة و الرتبة منه، لا القرب المكاني، لأنك عرفت إنه منزّه عن المكان.

٤. كونهم لم يسكنوا الأصلاب،و لم تضمّهم الأرحام، ولم يخلقوا من ماء

مهين، ولم تتعاقب عليهم حوادث الزمان، إنها صفات أربعة تُعد من مستلزمات الحيوان العنصري، أي ممن هو مخلوق مكلّف في الأرض ولا يخفى عليك أنّ العلماءو الفلاسفة وسائر أهل الملل و النحل قد أختلفوا في ماهية الملائكه أختلافاً عجيباً، أما الإمامية و أغلب المسلمين قالوا إنّ الملائكة أجسام لطيفة نورانية أولي أجنحة مثنى و ثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة، ولهم حركات صعوداً و نزولاً، وكان يراهم الأنبياء والأوصياء ﷺ.

ثم إنّ للملائكة أقساماً لا تحصى، و هم على تفاوت في المراتب و الدرجات فمنهم الكروبيّون، ومنهم الروحانيّون، ومنهم المدبّرون، ومنهم الحافظون ومنهم المسبّحون ومنهم الصافّون، ومنهم أمناء الوحي و سفراءالرسل، ومنهم الخزنة للجنان ومنهم الزبانية للنيران و...

قال تعالى حكاية عن بعض الملائكة: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّافُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾[1]. في الآية إشارة إلى تفاوت مراتب الملائكة ودرجاتهم في العبادة. قيل إنّ المراد بالصافّين أي القائمون صفوفاً في الصلاة وروي أنّ صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيافي الأرض.

وروي عن الإمام الصادق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكه الله عزّوجل، خلقهم الله كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق وجوههم إلا وهويسبّح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة؛ أصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله، فسألت جبرئيل عنهم فقال:

كما ترى خلقوا، إنّ الملك منهم إلى جنب صاحبه ماكلّمه قط، ولا رفعوا

---

١. الصافات: ١٦٤ / ١٦٦.

رؤوسهم إلى ما فوقهم و لا خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم،خوفاً من الله و خشوعاً فسلّمت عليهم فردّوا عليّ ايماءً برؤوسهم ولا ينظرون إليّ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل:

هذا محمّد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولاً و نبيّاً، وهو خاتم الأنبياء وسيّدهم، قال: فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسلام، وبشّروني وأكرموني بالخير لي ولأمتي.

قوله عليه السلام: وكثرة طاعتهم لك؛ إنهم مكلّفون مأمورون لا يستنكفون عن عبادته، ثم من خلال الآيات البيّنات إتّضح إنّ الملائكة المشغولين بطاعة الله على أصناف أربعة:

منهم سجود، ومنهم ركوع، ومنهم صفوف لا يتفارقون عن صفّهم، ومنهم مسبّحون لا يملّون من تسبيحهم، قال تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾[1] وآيات أخر في هذا المعنى كثيرة.

ثم هناك من يعمل بأمره سبحانه، فبعضهم مكلّف بتدبير ما في السماء، والبعض الآخر بتدبير ما في الأرض، كما إنّ بعض الملائكة موكّل بالنار وآخرون بالأرزاق وهكذا، كما نقل في الروايات المعتبرة من أن للموت ملك وهو عزرائيل عليه السلام، وللوحي ملك وهو جبرائيل عليه السلام إذ يأخذ الوحي عن ميكائيل عن إسرافيل إلى أن ينتهي الأخذ عن رب العالمين.

فهؤلاء الملائكة؛ أمناء الوحي ،يأخذون بترتيب منازلهم واحداً عن واحد إلى أن ينتهي إلى اللوح المحفوظ عن القلم عن الرب. و هناك روايات أخرى فيها كيفية إنتقال الوحي إلى جبرئيل ثم إلى النبي صلى الله عليه وآله ليس هذا مقام ذكرها.

---

١. فصلت: /٣٨.

ذم الدنيا و التحذير من الركون إليها

يبدأ هذا الفصل من كلامه ﷺ بتنزيه الله سبحانه و تقديسه ـ ثانية ـ وهي لا شكّ عبارات لها دلالة التأكيد على ما سبق من قول في التنزيه، ثم التحذير لأهل الغواية والعصاة والمتمرّدين، و تنفير لهم عن الركون إلى الدنيا وزخرفها، وتذكير بما يحلّ بساحتهم من سكرات الموت وما يتبعه من الندامة والحسرة على ما فرط به العاصي في هذه الدنيا إذ أقبل على جيفة ينهش منها...

(سبحانك خالقاً و معبوداً)

إسبّحك خالقاً، وإسبّحك معبوداً، لمّا كان خالقاً للخلق حيث تفرّد بالإبداع والايجاد، إستحقّ بذلك التفرّد تفرّده بعبادة الكل له، فلا مُوجد غيرك و لا معبود سواك.

(بحسن بلائك عند خلقك)

إنّ وجود الإسلام والدعوة إليه و إلى الجنة بلاء حسن من الله لخلقه لما في تلك الدار والدعوة إليها من إبتلاء و إمتحان للعباد، و ما يترتّب على الإبتلاء التمييز بين السعداء المشتاقين إلى الجنة و بين الأشقياء المعرضين عنها.

ثم ذكر صفات الجنة و النعيم الأبدي فيها؛ من الشراب و الطعام و الأزواج والخدم و... كلها ترغيب وتشويق للمؤمنين في الطاعة، وترغيب للعصاة بترك ملاذ الدنيا وشهواتها الفانية والتوجّه إلى ما عند الله سبحانه من النِعَم الخالدة..

(فلا الداعي أجابوا و لا فيما رغَّبْت رغبوا)

أي لم يمتثلوا أوامرك، ولم يطيعوا نبيّك، ولا فيما رغَّبْت إليه رغبوا؛ أي

ترغيبهم إلى الدار الآخرة الباقية، ونعيمها؛ من حور العين، وقصور الجنان، وأنهارها وثمارها.

بل عشقوا الدنيا فأعمت أبصارهم، وأمرضت قلوبهم. ومن عَشَقَ شيئاً كان مولعاً به، شديد المحبّة له، فأن العشق هو الإفراط في الحبّ والتجاوز عن حدالإعتدال.

والعشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد، وفي الدماغ ثلاث مساكن: التخيل في مقدمه، والفكر في وسطه، والذكر في آخره. فلا يكون أحد عاشقاً حتّى إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيّله وفكره وذكره، فيمتنع من الطعام والشراب بإشتغال قلبه وكبده من النوم بإشتغال الدماغ بالتخيل والذكر والفكر للمعشوق،فيكون جميع مساكن النفس قد إشتغلت به.

فأهل الدنيا المتفانون في لذائذها، المفرطون في حبّها قد أعمت أبصارهم، حتى قصرت عن النظر إلى أخراهم، وصرفتهم عن آخرتهم، فأصبحوا غافلين عن إدراك عيوبها فلم ينتبهوا عن نومتهم، ولم يعرفوا ما لهذه الدنيا من غدر ومكر وغرر وعدم وفاء.

ذكر عليه السلام مساويء هذه الدنيا و صفاتها، و ما يعقبها من فناء بعد أيام قلائل، فتكون الحسرة والندامة حينما يحلّ الموت في وادي النفوس، ثم ذكر سكرات الموت، وحسرة الفوت، وما فيه من ألم النزع الذي يسري في جميع أعضاء البدن ويستوعب الأطراف.

تروح وتغدو بنات الثرى	فتمحوا محاسن تلك الصور
تفانوا جميعا فما مخبر	وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا	أما لك فيما ترى معتبر

(فصار جيفة بين أهله)

إعلم إن أصل كل فرد من أفراد البشر هو من نطفة قذرة، وقد عبّر عنها القرآن

الكريم بالماء المهين، أي الحقير، وله تعابير لا تخلو من هذا الوصف أو شبهه، ثم يصير في آخر عمره إلى جيفة كذلك، لذا يقبر تحت التراب خوفاً من سريان رائحته النتنة في الفضاء فيؤدّي إلى تسمّم الجو، وبالتالي إلى إفشاء الأمراض والأوبئة بين الناس، إذن الإنسان بين جيفتين، وهو يحمل في أحشائه جيفة ثالثة من تناول الأطعمة والأشربة.

فإذا كان الإنسان آخره كأوّله، ووسطه كطرفيه، فكيف يجوز له الإغترار بوجوده بعد ما كان عَدَما ويصير إلى عدم؟! وعلام هذا التغرّر والتكبر بذاته والتجبّر على الآخرين؟!

وأي تنفير أشد من هذا، فكيف يتعلق الواحد منا بهذا البدن العنصري والهيكل الجسماني؟!

ألا يلتفت الإنسان إلى قذارته في مبتداه ومنتهاه؟! وإنه إذا مات يؤول بدنه إلى جسم لا نفع به، بل يصبح نجساً و يتحتّم على من يلامسه الغسل، بل يصبح جسداً مخيفاً ينفر منه أبناؤه وإخوانه وذووه، ويبقى فريداً وحيداً، لا يسعد باكياً، ولا يجيب داعياً على دعائه إلى أن ينزلوه في حفرته و ملحودة قبره، فيكون رهين عمله ووجد ما قدّم وما أخّر، فإن كان العمل صالحاً فنعم المؤنس والمعين، وإن كان سيئاً فبئس المصاحب والقرين، وهذا تفسير قوله ﷺ: (فاسلموه فيه إلى عمله وانقطعوا عن زورته).

أقول: لا يخفى على الحليم الذي لا تغرّه الدنيا و ما فيها من لهو ومُتع، إنّ شهوات الدنيا يمكن حصرها على أتمّ وجوهها بحب المال، ثم حب البقاء، ثم حب الأولاد والأزواج، وفي ذلك صريح قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]

---

١. الكهف: / ٤٦.

وقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ... ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾[1].

ومما يوضّح تلك الزينة وإنها من مُتَع الدنيا قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً...وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2]

فلا الأولاد يردّوا ضيماً عن ابيهم، ولا المال ينفعه بعد أن تقاسمه الورثة، ولا قواه التي كان يفخر بها في الدنيا ستنفعه في قبره، فكل ذلك قد خرج من قبضته، وهو رهين بعمله، وغداً يكون تراباً كما خلق منه ابتداءً.

قال الشاعر:

كم اخرس الموت في قبر وقفت به	عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معموراً به شرف	فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

وهناك أحاديث كثيرة صدرت عن ائمة أهل البيت عليهم السلام تؤكّد على الزاد وهو التقوى، والإهتمام بالأعمال الصالحة لأنها الذخيرة النافعة ليوم الوحدة والغربة، فالسفر طويل، والعواقب تتربّص بالإنسان ،والموت حليف كل فرد، فبورك مَنْ اتّعظ بالآخرين، وخرج من هذه الدنيا نقي الأردان،وخير ما نسوقه في هذا المقام ما تمثّل به الإمام الهادي عليه السلام لمّا استنشهده المتوكل فقال:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم	غلبُ الرجالِ فما أغنتهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزٍّ عن مَعَاقِلِهِم	فأودعوا حُفَراً يا بِئسَ ما نَزَلوا
ناداهُم صارخٌ مِن بعدِ ما قُبِروا	أين الأسرة والتيجان والحلل؟

---

١. آل عمران: / ١٤.

٢. الحديد: / ٢٠.

أيـــن الوجـوه التـي كـانت مـنعمة ... من دونها تضرب الأستار والكـلل؟
فأفصح القـبر عـنهم حـين سـاءلهم ... تــلك الوجـوه عـليها الدود يـقتتل
قد طـالما أكـلوا دهـرا ومـا شـربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قـد أكـلوا
قـد طـالما عـمّروا دورا لتـحصنهم ... فــفارقوا الدور والأهـلين وانـتقلوا
طــالما كــنزوا الأمـوال وادخـروا ... فـخلّفوها عـلى الأعـداء وارتـحلوا
أضــحت مــنازلهم قــفرا مـعطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قـد رحـلوا

سكرات الموت

عن الفضل بن شاذان القمّي بأسناده عن الأصبغ بن نباته قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أميرالمداثن في زمان أميرالمؤمنين علي ﷺ؛ قال الأصبغ فأتيته يوماً وقد مرض مرضه الذي مات فيه، قال فلم أزل أعوده في مرضه حتّى اشتدّ به الأمر وأيقن بالموت، قال: فالتفت إليّ وقال لي: يا أصبغ عهدي برسول الله ﷺ يقول يا سلمان سيكلّمك ميّت إذا دنت وفاتك وقد اشتهيت أن أدري وفاتي دنت أم لا، فقال الأصبغ: بماذا تأمرني يا سلمان يا أخي؟ قال له أن تخرج وتأتيني بسرير وتفرش لي عليه ما يفرش للموتى ثمّ تحملني بين أربعة فتأتون بي إلى المقبرة.

فقال: الأصبغ حبّاً وكرامة، فخرجت مسرعا وغبت ساعة وأتيته بسرير وفرشت عليه ما يفرش للموتى، ثمّ أتيته بقوم حملوه إلى المقبرة، فلمّا وضعوه فيها قال لهم: يا قوم استقبلوا بوجهي القبلة، فلمّا استقبل بوجهه القبلة نادى بأعلى صوته: السّلام عليكم يا أهل عرصة البلاء، السّلام عليكم يا محتجبين عن الدنيا.

قال: فلم يجبه أحد فنادى ثانية، السّلام عليكم يا من جعلت المنايا لهم غذاء، السلام عليكم يا من جعلت الأرض عليهم غطاء، السّلام عليكم يا من القوا أعمالهم في دار الدنيا، السلام عليكم يا منتظرين النفخة الاولى سألتكم

بالله العظيم والنبيّ الكريم إلا أجابني منكم مجيب فأنا سلمان الفارسي مولى رسول الله ﷺ فانه قال لي: يا سلمان إذا دنت وفاتك سيكلّمك ميّت، قد اشتهيت أن أدري دنت وفاتي أو لا.

فلما سكت سلمان من كلامه فاذا هو بميّت قد نطق من قبره وهو يقول: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا أهل البناء والفناء، المشتغلون بعرصة الدنيا وما فيها، نحن لكلامك مستمعون، ولجوابك مسرعون، فسل عمّا بدا لك يرحمك الله تعالى.

قال سلمان: أيّها الناطق بعد الموت والمتكلّم بعد حسرة الفوت أمن أهل الجنة بعفوه أم من أهل النار بعدله؟

فقال: يا سلمان أنا ممن أنعم الله تعالى عليه بعفوه وكرمه، وأدخله الجنة برحمته.

فقال له سلمان: الآن يا عبدالله صف لي الموت كيف وجدته وماذا لقيت منه وما رأيت وما عاينت؟ قال: مهلا يا سلمان فوالله إنّ قرضا بالمقاريض ونشرا بالمناشير لأهون عليّ من غصّة من غصص الموت، وتسعين ضربة بالسيف أهون من نزعة من نزعات الموت. فقال سلمان: ما كان حالك في دار الدنيا؟

قال: إعلم أنّي كنت في دار الدّنيا ممّن ألهمني الله تعالى الخير والعمل به وكنت اؤدّي فرائضه وأتلو كتابه، وكنت أحرص في برّ الوالدين، وأجتنب الحرام والمحارم، وأنزع من المظالم، واكدّ اللّيل والنّهار في طلب الحلال خوفا من وقعة السؤال، فبينا أنا في ألذّ العيش وغبطة وفرح وسرور إذ مرضت وبقيت في مرضي أيّاما حتّى انقضت من الدّنيا مدّتي وقرب موتي، فأتاني عند ذلك شخص عظيم الخلقة فظيع المنظر فوقف مقابل وجهي لا إلى السماء صاعدا ولا إلى الأرض نازلا، فأشار إلى بصري فأعماه، وإلى سمعي فأصمّه، والى لساني فأخرسه

فصرت لا ابصر ولا اسمع ولا انطق[١]، فعند ذلك بكى أهلي واخواني وظهر بخبري إلى اخواني وجيراني.

فقلت له عند ذلك: مَنْ أنت يا هذا الذي أشغلتني عن مالي وأهلي وولدي، فقد ارتعدت فرايصي من مخافتك؟

فقال: أنا ملك الموت أتيتك لقبض روحك ولأنقلك من دار الدّنيا إلى دار الآخرة، فقد انقضت مدّتك، من الدّنيا، وجاءت منّيتك.

وبينا هو كذلك يخاطبني إذْ أتاني شخصان ولهما منظر أحسن ما يكون وما رأيت من الخلق أحسن منهما، فجلس أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي فقالا: السّلام عليك أيّها العبد ورحمة الله وبركاته، قد جئناك بكتابك فخذه الآن وانظر ما فيه.

فقلت لهما: من أنتما يرحمكما الله وأيّ كتاب لي أنظره وأقرء؟

فقالا: نحن الملكان اللّذان كنا معك في دار الدّنيا على كتفيك نكتب مالك وما عليك، فهذا كتاب عملك، فلما نظرت في كتاب حسناتي بيد الرّقيب فسرّ لي ما فيه، وما رأيت من الخير وفرحت وضحكت عند ذلك وفرحت فرحا شديدا، ونظرت إلى كتاب السّيئآت وهو بيد العتيد فسأءني ما رأيت وأبكاني، فقالا لي: أبشر فلك الخير.

ثمّ دنى مني الشخص الأوّل فجذب الرّوح فليس من جذبة يجذبها إلاّ وهي تقوم مقام كلّ شدة من السّماء إلى الأرض، فلم يزل كذلك حتّى صارت الروح في صدري، ثمّ أشار إليّ بجذبة لو أنّها وضعت على الجبال لذابت، فقبض روحي من عرنين أنفي فعلا من أهلي عند ذلك الصّراخ. وليس من شيء يقال أو يفعل إلا وأنا به عالم.

---

١. لعل هذا الرجل قد كان عليه من الذنوب ما اراد الله تمحيصها عنه عند الموت، لذا رأى ملك الموت على تلك الصورة كما ترى.

فلمّا اشتدّ صراخ القوم وبكاؤهم جزعا عليّ التفت اليهم ملك الموت بغيض وحنق وقال: معاشر القوم ممّ بكاؤكم؟ فوالله ما ظلمناه فتشكون، ولا اعتدينا عليه فتصيحون وتبكون ولكن نحن وأنتم عبيد ربّ واحد، ولو أمرتم فينا كما امرنا فيكم لإمتثلتم فينا كما امتثلنا فيكم، والله ما أخذناه حتّى فني رزقه، وانقطعت مدّته، وصار إلى ربّ كريم يحكم فيه ما يشاء، وهو على كلّ شيء قدير، فان صبرتم أوجرتم، وإن جزعتم أثمتم، كم لي من رجعة إليكم آخذ البنين والبنات والآباء والأمّهات.

ثمّ انصرف عند ذلك عنّي والروح معه فعند ذلك أتاه ملك آخر فأخذها منه وطرحها في ثوب أخضر من الحرير وصعد بها ووضعها بين يدي الله في أقلّ من طبقة جفن.

فلمّا حصلت الرّوح بين يدي رّبي سبحانه سألها عن الصغيرة والكبيرة، وعن الصّلاة والصّيام في شهر رمضان، وحجّ بيت الله الحرام، وقراءة القرآن، والزكاة والصّدقات، وساير الأوقات والأيّام، وطاعة الوالدين، وعن قتل النفس بغير الحقّ، وأكل مال اليتيم ومال الرّبا، والزّنا والفواحش، وعن مظالم العباد، وعن التهجّد باللّيل والنّاس نيام، وما يشاكل ذلك، وما بعد ذلك ردّت الرّوح إلى الأرض باذن الله تعالى.

فعند ذلك أتاني الغاسل فجرّدني من أثوابي، وأخذ في تغسيلي، فنادته الرّوح بالله عليك يا عبدالله رفقا بالبدن الضعيف، فوالله ما خرجت من عرق إلا انقطع، ولا من عضو إلا انصدع، فوالله لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسّل ميّتا أبدا.

ثم إنّه أجرى عليّ الماء، وغسّلني ثلاثة أغسال، وكفّنني في ثلاثة أثواب، وحنّطني بحنوط وهو الزّاد الذي خرجت به الى الآخرة. ثمّ جذب الخاتم من يدي اليمنى فدفعه إلى أكبر أولادي وقال: آجرك الله في أبيك وأحسن لك الأجر والعزاء.

ثمّ أدرجني في الكفن ولفّني ونادى أهلي وجيراني وقال هلمّوا إليه بالوداع، فقاموا عند ذلك لوداعي.

فلمّا فرغوا من وداعي حملت على سرير خشب، وحملوني على أكتاف أربعة، والرّوح عند ذلك بين وجهي وكفّي واقفة على نعشي وهي تقول: يا أهلي وأولادي لا تلعب بكم الدّنيا كما لعبت بي، فهذا ما جمعته من حلّ ومن غير حلّ وخلّفته بالهنائة والصّحة فاحذروني فيه.

ولم أزل كذلك حتى وضعت للصّلاة فصلّوا عليّ، فلمّا فرغوا من الصّلاة وحملت إلى قبري ادليت فيه، ثمّ رفعت روحي بين كتفي ووجهي ادنيت من قبرى، وطرحت على شفيرَ القبر، فعاينت هولاً عظيما.

يا سلمان يا عبدالله لما وضعت في قبري خيّل لي أنّي سقطت من السماء إلى الأرض في لحدي، وشرج عليّ اللبن وحثي عليّ التراب وزاروني «واروني ظ» وانصرفوا، فرجعت الرّوح إليّ فأخذت في النّدم فقلت: يا ليتني كنت مع الراجعين. فعند ذلك سلبت الرّوح من اللّسان، وانقلب السّمع والبصر، فلما نادى المنادي بالإنصراف أخذت في الندم، وبكيت من القبر وضيقه وضغطته وكنت قلت: يا ليتني كنت مع الراجعين لعملت عملا صالحا، فجاوبني مجيب من جانب القبر ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرزَخٌ إلى يَومِ يُبْعَثُونَ﴾[1] فقلت منَ أنت يا هذا الذي تكلّمني وتحدّثني؟ قال: أنا منبّه: وما منبّه؟ قال: أنا ملك وكّلني الله بجميع خلقه لأنبّههم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله.

ثمّ إنّه جذبني وأجلسني وقال لي: اكتب عملك ومالك وما عليك في دارالدنيا، قلت إني لا أحصيه ولا أعرفه، قال: أو ما سمعت قول ربّك: أحصاه الله ونسوه؟

---

١. المؤمنون / ١٠٠.

ثمّ قال لي: اكتب الآن وأنا أملي عليك، فقلت أين البياض؟ فجذب جانبا من كفني فإذا هو رقّ فقال: هذه صحيفتك، فقلت من أين القلم؟ قال: سبّابتك، فقلت من أين المداد؟ فقال: ريقك.

ثمّ أملى عليّ ما فعلته في دارالدنيا من أوّل عمري إلى آخره، فلم يبق من أعمالي صغيرة ولا كبيرة، ثمّ تلى عليّ: ﴿ **لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾[1] ثمّ إنّه أخذ الكتاب وختمه بخاتم وطوّقه في عنقي فخيّل لي أنّ جبال الدنيا جميعا قد طوّقها في عنقي، فقلت له: يا منبّه ولِمَ تفعل بي هكذا؟ قال: ألم تسمع قول ربّك ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾[2] فهذا ما تخاطب به يوم القيامة ويؤتى بك وبكتابك بين عينيك منشورا لتشهد به على نفسك.

ثمّ انصرف عنّي فبقيت أبكي على نفسي على حسرة الدنيا وأقول: يا ليتني عملت خيرا حتّى لا يكتب عليّ شرّ. فبينا أنا كذلك وإذا أنا بملك منكر أعظم منظرا وأهول شخصا ما رأيته في الدنيا، ومعه عمود من الحديد لو اجتمعت عليه الثقلان ما حرّكوه، فراعني وأفزعني وهدّدني ودنا منّي فجذبني بلحيتي، ثمّ إنه صاح بي صيحة لو سمعها أهل الأرض لماتوا جميعا ثمّ قال لي: يا عبدالله أخبرني من ربّك ومن نبيّك وما دينك وما كنت عليه في دار الدنيا؟

فاعتقل لساني من فزعه، وتحيّرت في أمري، وما أدري ما أقول، وليس في جسمي عضو إلا فارقني من الفزع، وانقطعت أعضائي وأوصالي من الخوف.

---

١. الكهف / ٤٩.
٢. الإسراء / ١٣ و١٤.

فأتتني رحمة من ربّي فأمسك بها في قلبي، وشدّ بها ظهري، وأطلق بها لساني، ورجع إليّ ذهني فقلت له عند ذلك:

يا عبدالله لم تفزعني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدا رسول الله ﷺ، وأنّ الله ربّي، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، والكعبة قبلتي، وعليّ إمامي، وبعده أولاده الطاهرون أئمتي، والمؤمنون اخواني، وأن الموت حقّ، والسّؤال حقّ، والصّراط حقّ، والجنّة حقّ، والنّار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، فهذا قولي واعتقادي، وعليه ألقى ربّي في معادي.

فعند ذلك قال لي يا عبدالله ابشر بالسلامة فقد نجوت منّي، فنم نومة العروس، ثمّ مضى عنّي. ثمّ أتاني شخص أهول منه يعرف بنكير، فصاح صيحة هائلة أعظم من الصيحة الأولى، فاشتبكت أعضائي بعضها في بعض كاشتباك الأصابع، ثمّ قال لي: هات الآن عملك يا عبدالله، وما خرجت عليه من دار الدنيا، ومن ربّك ومن نبيّك وما دينك؟ فبقيت حائرا متفكّرا في ردّ الجواب لا أعرف جوابا ولا انطق بخطاب لما رأيت وسمعت منه.

فعند ذلك صرف الله عنّي شدّة الرّوع والفزع، وألهمني حجّتي، وحسن التوفيق واليقين فقلت: ارفق بي ولا تزعجني يا عبدالله، وامهل عليّ حتّى أقول لك، فقال: قل.

فقلت: إنّي خرجت من شهادة أن لا إله الاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، وأنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة الطاهرين من ذرّيته أئمّتي، وأنّ الموت حقّ، والقبر حقّ، والصّراط حقّ، والميزان حقّ، والحساب حقّ، ومسائلة منكر ونكير حقّ، وأنّ الجنّة وما وعد الله فيها من النّعيم حقّ، وأنّ النار وما وعد الله من العذاب حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور.

ثمّ قال لي: يا عبدالله ابشر بالنّعيم الدّائم والخير المقيم، ثمّ إنّه أضجعني وقال: نم نومة العروس، ثمّ إنّه فتح لي بابا من عند رأسي إلى الجنّة وبابا من عند رجلي إلى النّار ثمّ قال لي: يا عبدالله أنظر ما صرت إليه في الجنّة وإلى ما نجوت منه من نار الجحيم، ثمّ سدّ الباب الذي من عند رجلي وأبقى الباب الذي هو من عند رأسي فجعل يدخل عليّ من روح الجنّة ونعيمها وأوسع لحدي مدّ البصر[١]، وأسرج لي سراجا أضوء من الشمس والقمر وخرج عنّي.

فهذه صفتي وحديثي وما لقيته من شدّة الأهوال، وأنا أشهد بالله أنّ مرارة الموت في حلقي إلى يوم القيامة، فراقب الله أيّها السائل من رفعة المسائل، وخف من هول المطّلع وما قد ذكرته، هذا الذي لقيته وأنا من الصّالحين، ثمّ انقطع عند ذلك كلامه عن سلمان.

فقال سلمان للأصبغ ومن كان معه: هلمّوا إليّ واحملوني، فلمّا وصل الى منزله قال: حطوني رحمكم الله فلمّا حططناه إلى الأرض وشهدناه فقال: أسندوني، ثمّ رمق بطرفه إلى السماء وقال: يا من بيده ملكوت كلّ شيء وإليه يرجعون، وهو يجير ولا يجار عليه، بك آمنت، وعليك توكّلت، وبنبيّك أقررت، وبكتابك صدّقت، وقد أتاني ما وعدتني، يا من لا يخلف الميعاد فلقّني جودك، وأقبضني إلى رحمتك، وأنزلني إلى دار كرامتك، فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، وأنّ عليّا أميرالمؤمنين والأئمّة من ذرّيته أئمّتي وساداتي، فلمّا أكمل شهادته قضى نحبه ولقى ربّه رضي الله تعالى عنه.

فقال بينما نحن كذلك إذ أتى رجل على بغلة شهباء متلثّما فسلّم علينا فرددنا السّلام عليه فقال: يا أصبغ اجهدوا في أمر سلمان، فأخذنا في أمره فأخذ معه

---

١. ومضى عني وأنا يا سلمان لم أجد عندالله شيئاً يحبّه الله اعظم من ثلاثة: صلاة الليلة شديدة البرد، وصوم يوم شديد الحر، وصدقة بيمينك لا يعلم بها شمالك.

حنوطا وكفنا فقال: هلمّوا فإنّ عندي ما ينوب عنه، فأتينا بماء ومغسل، فلم يزل يغسله بيده حتّى فرغ، وكفّنه وصلّى عليه فصلّينا خلفه، ثمّ إنه دفنه بيده.

فلمّا فرغ من دفنه همّ بالإنصراف تعلّقنا به وقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ فكشف لنا عن وجه فسطع النور من ثناياه كالبرق الخاطف فاذا هو أميرالمؤمنين فقلت له يا أميرالمومنين كيف كان مجيئك ومن أعلمك بموت سلمان؟

قال فالتفت إليّ وقال: آخذ عليك يا أصبغ عهد الله وميثاقه وأنّك لا تحدّث به أحداً ما دمت حيّا في دار الدنيا، فقلت: يا أمير المؤمنين أموت قبلك فقال: لا يا أصبغ بل يطول عمرك، قلت له يا امير المؤمنين خذ عليّ عهداً وميثاقاً فانّي لك سامع مطيع إنّي لاأحدّث به حتّى يقضي الله من أمرك ما يقضي وهو على كلّ شيء قدير.

فقال: يا أصبغ بهذا عهدني رسول الله ﷺ فإنّي قد صلّيت هذه الساعة بالكوفة وقد خرجت أريد منزلي فلمّا وصلت إلى منزلي اضطجعت، فأتاني آتٍ في منامي وقال: يا علي إنّ سلمان قد قضى نحبه، فركبت بغلتي وأخذت معي ما يصلح للموتى، فجعلت أسير، فقرّب الله لي البعيد كما تراني، وبهذا أخبرني رسول الله ﷺ. ثمّ إنّه دفنه وواراه فلم أر أصعدَ إلى السّماء أم في الأرض نزل، فأتى الكوفة والمنادي ينادي بصلاة المغرب فحضر عندهم. وهذا ما كان من حديث وفاة سلمان الفارسي ﷺ على التمام والكمال والحمدلله حقّ حمده وقد رويت الخبر على طوله لاقتضاء المقام ذلك من حيث اشتماله على أحوال الميّت وأهوال البرزخ، سائلين المولى سبحانه النجاة بشفاعة النبي وآله الأطهار.

نعود الى ما أنتهينا اليه من شرح الخطبة قال ﷺ:

(حتى إذا بلغ الكتاب أجله والأمر مقاديره) في هذا المقطع من كلامه ﷺ وما بعده بيان لحال العباد في يوم البعث والنشور، إنه المعاد إلى ربّهم وحشرهم

للحساب، لينال المطيعون أجرهم ما وعدهم الله سبحانه من الجنان والنعيم ومرضاته، وأما العاصون فيجزون بما عملوا....

إذن هناك أوصاف القيامة: والتّقلبات التي تطرأ على الأرض والسماء من الإنشقاق والإنفطار والحركة والإضطراب والزلزال ونسف الجبال.

كلّها تحدث كما قدّرها الله سبحانه، وإنه لواقع بتأكيد من القرآن الكريم. ثمّ صنّف أميرالمؤمنين ﷺ الناس إلى صنفين؛ صنّف أهل الطاعة والسعادة، وهم الأبرار، إنّهم أهل النعيم، وقد وعدهم الله سبحانه الجنّة ﴿ **تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ** ﴾[١].

وصفات الجنّة التي وعدها سبحانه لأهل طاعته صفات كثيرة وجميلة، وقد شوّق إليها ربّ العزّة، لذا الجدير بأهل الايمان أن يقرؤوا صفحات تلك الجنّات من خلال القرآن الكريم.

وأمّا اهل المعصية والشقاوة فمنازلهم جهنّم، وهي شرّ المنازل؛ فيها غلّ الأيدي إلى الأعناق، وسلاسل من النار، قال تعالى: ﴿ **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾[٢].

وإن المجرمين معروفون بسيماهم، فقال تعالى: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾[٣].

وهذا يعنّي أنّ زبانية جهنّم تجمع بين نواصي المجرمين وأقدامهم بالغلّ، ثمّ يسحبون في النار ويقذفون فيها، وهناك صفات عديدة لاصحاب النار وما يلاقونه من العذاب قد فصّلتها جملة من الايات البيّنات، منها قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى**

---

١. الرعد / ٣٥ (مقطع من الآية).

٢. غافر / ٧١.

٣. الرحمن / ٤١ـ٤٢.

الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانٍ وَ تَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ ﴾[٢].

عن ابن عباس قال: حين صاروا ـ أهل النّار ـ إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران، وهي الثياب القصار، وقيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار، وهي أشدّ ما تكون حمى، وقيل أنّ النّار تحيط بهم كإحاطة الثياب التي يلبسونها.

ثم أخذ يصف حالات جهنم:

فقال ﷺ: «في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع»، نار صفاتها: الكلب: أي الشدّة. واللّجب: الصوت. واللهب: الاشتعال.

«وقصيف هائل»: أي صوت شديد مخوف.

«لا يظعن مقيمها»: بل كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون.

«ولا يفادى أسيرها»: أي لا يؤخذ عنه الفدية فيخلص كأسراء الدنيا. ولا تفصم كبولها: أي لا تفك قيودها بل هي وثيقة محكمة. لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى: أي عذابها أبدي سرمدي.

أنظر أيها المغرور ـ الذي غرته أيام قلائل بشهوات زائلة حقيرة ـ إلى ما أنت صائر إليه ومنقلب عنه إلى غيره، فما متاع الحياة الدنيا إلا قليل، والعاقبة للمتقين، وكن من مصيرك على خوف شديد لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾[٣]، فأنت من ورود النار على يقين، ومن النجاة في شك.

---

١. ابراهيم / ٤٩ و ٥٠.

٢. الحج / ١٩.

٣. مريم / ٧١ و ٧٢.

قال ﷺ: «قد حقّر الدنيا وصغّرها».

الضمير في حقّر وصغّر عائد الى النبي ﷺ، وهنا يصف اميرالمؤمنين ﷺ زهد النبي كما أنه في معرض ذم الدنيا. أما الضمير في «زواها وبسطها» فعائد الى الله سبحانه، أي أن الدنيا ومافيها من زخرف ونعيم قد صرفها وطواها عن النبي كرامة منه لنبيّه، كما أنّه سبحانه بسطها أي الدنيا، فجعلها لغيره إحتقارا منه أو لكونها محتقرةً أو لحقارتها زواها عن نبيّه وأبعدها عنه حتى لا يفتتن بها سائر المؤمنين.

ومن صفات زهد النبي ﷺ: «فأعرض عنها بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه وأحبّ أن تغيب زينتها عن عينه»:

أقول: حالات الزهد ومراتبه كثيرة لكن أهمّها أو في مقدمتها: الإعراض عن الدنيا من الأعماق أي من القلب، وألا يحيي ذكر الدنيا فيلهج بزينتها، وأن لا ينظر إليها. جاء في الكافي باسناده عن عبدالله بن القاسم عن أبي عبدالله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيرا زهّده في الدنيا وفقّهه في الدين، وبصّرهُ عيوبها ومن أوتيهنّ فقد أوتي خير الدنيا والآخرة»[١].

لما انتهى من وصف زهده وقناعته قال ﷺ: «كي لا يتّخذ منها رياشا أو يرجو فيها مقاما» وهذا تعليل لما تقدّم. أما الرياش هو اللّباس الفاخر، والمقام أي الإقامة الطويلة، وربّما يراد من المقام المنزلة كالمنصب وأمثاله.

ثم اشار ﷺ إلى المهمّة التي من أجلها بعث النبي ﷺ فقال: «بلّغ عن ربّه معذرا ونصح لأمّته منذرا ودعا إلى الجنّة مبشّرا».

التبليغ بأمانة وصدق، وقد أعذر من أنذر، وقدّم النصح للناس والإرشاد لهم، ودعاهم إلى الجنّة والنّعيم الأبدي.

---

١. الكافي ٢ / ١٣٠، حديث ١٠.

ثم ختم خطبته ﷺ بما له من الكلمات النَفيسة واختصاصه برسول الله ﷺ المستلزم سبقه على غيره، وتقدّمه على الكل؛ فقال: «نحن شجرة النبوّة» هذه الشجرة كنايةٌ عن الرسول ونفسه الشريفة وزوجته الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ وأولادهم الطيبين ﷺ.

كيف نسب نفسه ﷺ إلى شجرة النبوّة؟

الجواب يكمن في الخبر الذي دلّ عليه الشيخ الصدوق في كتابه «معاني الأخبار» بإسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله عزّوجلّ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

قال ﷺ: أمّا الشجرة فرسول الله ﷺ، وفرعها علي ﷺ، وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وثمرها أولادها عليهم السلام، وورقها شيعتنا.

ثم قال ﷺ: إنّ المؤمن من شيعتنا يموت فيسقط من الشجرة ورقة، وإنّ المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة ورقة.

وروى الصدوق بإسناده إلى أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد، نسبّح الله يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا أنّ خلق الله آدم ﷺ جعل ذلك النور في صلبة، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد همّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح بالسفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف ابراهيم ﷺ في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزّوجلّ من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبدالمطلب، فقسمنا فجعلني في صلب عبدالله وجعل علياً ﷺ في صلب أبي طالب، وجعل فيّ النبوّة والبركة، وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشق لنا اسمين

---

١. ينظر: سورة إبراهيم / ٢٤ و ٢٥.

عن اسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، والله العلي الأعلى وهذا علي.

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة	ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر	والشيعة الورق الملتف بالثمر
هذا مقال رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر

قوله عليه السلام: «ومحط الرسالة» أي أنّ بيوتهم تنسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله فهو عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله من بيت واحد؛ إنّهما من قريش فإن موضع الرسالة في بيت النبي صلى الله عليه وآله عليه كان ينزل الوحي، وعليه كان ينزل جبرائيل عليه السلام فيبلّغه رسالة السماء، ولم يدّعِ أحد من الشيعة الإمامية أنّ الوحي ينزل على الأئمة.

فأميرالمؤمنين وفاطمة وولديهما والأئمة كانوا محدَّثون ويسمعون ومفهَّمون، وقد كذب البعض على الأئمة كالغلاة الذين زعموا أن الأئمة يوحي إليهم كالنبي صلى الله عليه وآله.

وكلام أميرالمؤمنين عليه السلام واضح عند من يفهم بلاغة الكلام، وهو ليس بعيد على العربي الذي تقلّب في حجر الفصاحة والبلاغة، فإن قريش هي قبيلة النبي محمّد صلى الله عليه وآله وعلي، فمحط الرسالة في قبيلة قريش التي منها الإمام عليه السلام وذريته الكرام، كما أنّ الرسول محمّد صلى الله عليه وآله مرسل من الله فكلّما وصل إليه من علوم الرسالة أودعها في أميرالمؤمنين، ثم وصل ذلك العلم إلى الأئمة الكرام من ولده عليهم السلام، إذن هم موضع الرسالة ومحطها.

روى الشيخ الكليني بسنده عن حمران بن أعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ جبرائيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله برمّانتين فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفا وأطعم عليا نصفا، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا أخي هل تدري ما هاتان الرّمانتان؟

قال: لا. قال: إمّا الأولى فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وإمّا الاخرى فالعلم فأنت شريكي فيه.

فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلم الله محمّدا ﷺ علما إلا وأمره أن يعلّمه عليّا[1].

قوله ﷺ: «ومختلف الملائكة»

أي أنّ بيوتهم ﷺ محل نزول الملائكة ومجيئهم وذهابهم مرّة بعد أخرى، اما رسول الله ﷺ فظاهر أنّ بيوته كانت مهبط الوحي والتنزيل ومجيء الملائكة...

وأمّا الأئمة ﷺ إنما ينزلون لزيارتهم والتشرف بهم وايصال الأخبار إليهم وفي هذا المعنى روايات كثيرة.

في الكافي بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على عليّ بن الحسين ﷺ فاحتسبت في الدار ساعة ثمّ دخلت البيت وهو يلتقط شيئا، وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟

فقال ﷺ: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا نجعله سبحا لأولادنا، فقلت: جعلت فداك وأنهم ليأتونكم؟ فقال ﷺ: يا أبا حمزة إنهم ليزاحمونا على تكائتنا[2].

السبح: النوم والسكون.

وفي بعض النسخ سيحا أي الكساء المخطّط، وفي بصائر الدرجات سحابا وهو خيط ينظم فيه خرز يلبسه الصبيان والجواري. وهناك روايات كثيرة في هذا الباب فليراجع البحار وبصائر الدرجات وغيرها في المصادر المعتبرة.

---

١. الكافي كتاب الحجة ١ / ٢٦٣، حديث ١.

٢. الكافي ١ / ٣٩٤، حديث ٣، ط ٣، دار الكتب الاسلاميه، طهران.

ثمّ ذكر عليه السلام وصفين آخرين إذ هم «معادن العلم» وهم «ينابيع الحكم» فعلمهم من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وعلم النبي من الله سبحانه، وأما الحِكَم أو الحُكم فأمّا قصده بالحكمة، فهو ذاك لأنّ منطقهم الصواب، وكلامهم يشفي الغليل ويداوي العليل، وإذا قصده الحُكم، فهو كذلك الفيصل بين الحق والباطل، فالأحكام الشرعية منبعها بعد القرآن والرسول هم الأئمة؛ وبكلامهم تقطع الخصومات، وتفضّ النزاعات، ويأخذ كل ذي حق حقّه، وموارد هذه الحالات والخصومات كثيرة جدا حيث كان الخلفاء الاوائل ابوبكر وعمر وعثمان يلتجؤون إلى أميرالمؤمنين عليه السلام في حلّ عويصات المسائل وإليه يذهبون في ملمّات الأمور.

ومن راجع أقضية أميرالمؤمنين لوجد الكثير من ذلك، وقد ذكرنا طرفا من تلك الحلول وأقضية الإمام عليه السلام في كتابنا: الإمام علي رحمة وذكرى فراجع.

ثمّ ختم سلام الله عليه خطبته الشريفة بقوله: «ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة» فنصرتهم واجبة؛ أي أن ندين بولايتهم ونتبرّأ من أعدائهم وشانئيهم، فولايتهم مفروضة على العباد والتبرّأ من مبغضيهم مفروض كذلك.

وفي هذا الباب روايات كثيرة جدا رواها الفريقان، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله مخاطبا لعليّ عليه السلام: يا عليّ لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أو كافر.



الفصل الثاني

من خطبة له عليه السلام

يصف فيها حال العرب قبل الاسلام

قوله: (بنا اهتديتم في الظلماء...)

خطبة (بنا اهتديتم)[1]

وهي من أفصح كلامه عليه السلام و فيها يعظ الناس و يهديهم من ضلالتهم ويقال إنّه خطبها[2] بعد قتل طلحة و الزبير فقال عليه السلام:

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ في الظَّلْمَاء، وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءَ، وَ بِنا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ. وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ وَ كَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ. رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ، حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ. أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لا دَلِيلَ، وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لاَ تُمِيهُونَ. الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ، عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ في الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَ دُوَلِ الضَّلالِ. الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا

---

١. لعله يشير الى الحديث الشريف: «الائمة من أهل بيتي كالنجوم بايّهم اقتديم اهتديتم».

رواه القاضي النعمان في دعائم الاسلام: ١ / ١٨٦.

رواه يوسف بن اسماعيل في الشرف المؤيد: ٦.

وعن نوادر الاصول للحكيم الترمذي قال: «النجوم امان لاهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض».

٢. ٨٨ رقم الخطبة: ٥ من نهج البلاغة.

عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِماءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

مصادر الخطبة

ابن جرير الطبري في المسترشد ص ٩٥ روى آخر الخطبة.

الشيخ المفيد في الارشاد ص ١٤٧ مع اختلاف يسير عما رواه الرضي وزيادة يسيرة.

شرحها ابن ابي الحديد المعتزلي في الجزء الاول ص ٢٠٨، وقال: والرواية لها كثيرة.

وشرحها ابن ميثم البحراني في موسوعته الجزء الاول ص ٢٠٧.

معاني المفردات

١ ـ السنام: كلّ شيء اعلاه، تسنمتم: علوتم، يقال تسنّم أي علا، وهو من السنام الذي هو أعلى البعير.

٢ ـ السّرار: الليلة أو الليلتين من آخر الشهر، يستتر فيها القمر ويختفي.

٣ ـ الوقر: الثقل في السمع.

فقهت الامر: فهمته، لم يفقه: لم يفهم، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول شعيب ﷺ ﴿ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1].

٤ ـ الواعية: الصارخة. والصارخ لفظ مشترك بين المغيث والمستغيث، واراد به هنا المغيث.

النبأة: الصوت الخفي، السمة: العلامة.

---

١. هود: / ٩١.

٥ ـ الخفقان: الاضطراب والارتعاش.

٦ ـ العواقب: جمع عاقبة، وعاقبة كل شيء آخره وخاتمه.

٧ ـ توسّم: تفرّس، والسمة: العلامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[1] أي المتفرّسين، وانما يقال للمتفرّس المتوسّم لانه يستدلّ بالوسم الظاهر على الاسرار الكامنة، والوسيم: الاثر، يقال: وسمت الشيء وسماً إذا أثرت فيه بسمة وهي العلامة، ويقال للرجل الجميل: الوسيم لحسن وسمه، والميسم الجمال. الحلية: النعت، يقال حلية الرجل: صفته. المغترّين: المخدوعين: يقال اغتر بالشيء: خدع به.

٨ ـ سترت الشيء: إذا غطّيته، وتستر أي تغطّى.

٩ ـ بصّرنيكم، يقال بصّر الشيء تبصيرا أي عرّفه وأوضحه، والتبصّر: التأمل والتعرّف. السنن: الطريقة الواضحة، وسنن الحق: وجهه وطريقه.

١٠ ـ جوادّ المضلة: الجوادّ: جمع جادة وهي معظم الطريق. المضله: ما يضلّ فيه، يقال أرض مضله اي يضلّ فيها الطريق، وضلّ الشيء يضلّ ضلالاً أي ضاع وهلك.

١١ ـ ولا تميهون: أماه يميه: اذا بلغ الماء وماهت البئر: خرج ماؤها.

١٢ ـ أُنطِقُ: من المنطق وهو الكلام.

العجماء: التي لا تفصح في بيانها، وإنما توصف البهيمة به لأنها لا تتكلّم، وكل من لم يقدر على الإيضاح في كلامه فهو أعجم مستعجم.

١٣ ـ عزب: بعد وغاب، والعزّاب الذين بعدوا عن الازواج، والعازب والاعزب من لا زوج له وربما قرأت. غرب بمعنى بعد.

---

١. الحجر / ٧٥.

١٤ ـ تخلّف عنّي: تأخّر.

أُرِيتُهُ الشيء فرآه: أي أبصرته فبصر. وبصّر الشيء تبصيرا أي عرّفه واوضحه، والتبصّر: التأمّل والتعرّف.

١٥ ـ لم يوجس من أوجس: بمعنى هجس واحسّ. وأوجس في نفسه خيفة. أي أضمر. وعرف من نفسه خيفة أوجس بها، والتوجّس كذلك. ولا يتخصّص بايجاس الخوف الا ذو عقل حصيف ورأي متين، فان الخائف يذهله الفزع عن الإحساس بما في نفسه. والخيفة، المصدر: يقال خاف الرجل يخاف خوفا وخيفة ومخافة فهو خائف.

١٦ ـ أشفق من غلبة الجهّال: الاشفاق: رقة القلب، فطورا يعبّر عن الرحمة والحنو، والاسم منه الشفقة، وطورا يعبّر به عن الحذر. فقال: اشفقت منه اي حذرته، فاذا كان المعنى الاوّل استعمل بـ«على»، وإذا كان المراد المعنى الثاني استعمل بـ«من»، والمراد هنا المعنى الثاني ولذا قال: من غلبة الجهّال.

دول الضّلال: الدولة ـ بفتح الدال ـ في الحرب: أن تداول إحدى الطائفتين على الاخرى إي غلبت. والدُولة ـ بضم الدال ـ في المال اي يتداولونه، تكون مرة لهذا ومرة لهذا. قال أبوعبيد: الدُولة ـ بالضم ـ اسم الشيء الذي يتداول به بعينه. وفي قوله تعالى: «لكيلا تكون دولة بين الاغنياء منكم» قال أبوعمرو بن العلاء: الدولة بالضم في المال. وبالفتح في الحرب.

١٧ ـ من وثق بماء لم يظمأ: وثقت بفلان إذا ائتمنته. الظمأ: العطش. قال تعالى: ﴿ **لاَيُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ** ﴾ اي لايصيبها عطش. وظمئت الى لقائك: اشتقت اليك.

الأوجه البلاغية في النص

الخطبة مع اشتمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحرّكة للنفس هي غاية في

الايجاز، وفيها من صور البيان والبديع الشيء الكثير، نقف عند بعضها:

١ ـ بنا اهتديتم في الظلماء:

فيها استعارة تخييلية مكنّي بها عن الجهل والكفر ممّا لاخلاص بهما ولا مناص مستدعية لتشبيههما ـ وهما معقولان ـ بالظلمة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم الاهتداء فيهما الى الطريق المسلوك الى المقصد.

٢ ـ وتسنّمتم العلياء:

فيها استعارة تخييلية مرشّحه مستلزمة لتشبيه العلياء المكنّي بها عن الإسلام وهي معقولة بالناقة وهي محسوسة. حيث استعار وصفَ السنام للعلياء بلحاظ شبهها بالناقة.

وجه الشبه: اشتراكهما في الانتفاع الحاصل من كلّ منهما اللائق به، وهو عقلي، وتخييل أنها من افراد الناقة. ثم رشّح تلك الاستعارة بكلمة التسنّم الذي هو ركوب السنام، وكنّي به عن علوّهم.

ثم بين الظلماء والعلياء بديع من باب المتوازي والترصيع.

٣ ـ وبنا انفجرتم عن السّرار:

كلمة سرار فيها استعارة تخييلية مرشّحه، مستلزمة لتشبيه الهيئة الحاصلة من الظلمة المطبقة في آخر الشهر لخفاء القمر دون أن يتبدّل بأدنى نور من الهلال.

وجه الشبه: اشتراكهما في الظلمة التي قرب انقضاؤها و تبدّلها بالنور، وهو عقلي، وهذا تشبيه المركب بالمركّب و بذكر انفجرتم رشحها.

اذن من خلال لفظة (السّرار) ادركنا أنّ القوم ـ العرب ـ كانوا في ظلام الجهل والخمول، ولم يكن لهم ذكر جميل في الجاهلية، وفي لفظ الانفجار معنى الخروج من ذلك الجهل الى نور الاسلام، واشتهارهم في الناس، وذلك لتشبيههم

بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار.

٤ ـ وقر سمع لم يفقه الواعية:

كنّي بالواعية عن نفسه ﷺ، اذ من لوازمه حفظ كتاب الله تعالى والقيام بأوامره والاجتناب عن نواهيه، فكان منه أن صاح فيهم بالموعظة الحسنة، وناداهم ثم دعاهم الى الالفة، وحذّرهم من الفرقة أو أن يشقّوا عصى الطاعة والوحدة، فكم وعّظهم ولكن لم يستجيبوا؟!

٥ ـ كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة:

في العبارة استعارتان مكنيتان: استعار لفظ النبأة لدعائه لهم وندائه الى سبيل الحق. واستعار الصيحة لخطاب الله سبحانه ودعوة رسوله وهي على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم، فهم لم يجيبوا داعي الحق ونداءه، أوقل إنّهم لن يجيبوا دعوته. فالاستعارة الأولى ترشيحيّة تخييلية مستدعية لتشبيه دعائه ﷺ ايّاهم الى سبيل الحق بالصوت الخفي وهما محسوسان بحس السمع.

وجه الشبه: اشتراكهما في الضعف الحاصل لهما بالقياس الى دعاء الحق والصوت العالي وهو عقلي وتخييلي أنه من افراد الصوت.

والاستعارة الثانية مستلزمة لتشبيه دعوة الله ورسوله ايّاهم بالصوت العالي.

وجه الشبه: اشتراكهما في العلو وهو عقلي، وقد رشّح الاولى بذكر يراعي، ورشح الثانية بذكر الإصمام.

٦ ـ ربط جنان لم يفارقه الخفقان:

في العبارة: كناية عن الخوف، كما فيها دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لاتزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة، والخفقان من لوازمه اضطراب القلب.

٧ ـ سترني عنكم جلباب الدين:

فيها استعارة تخييلية تصريحيه مرشّحة، لتشبيه الدين وهو عقلي، بالجلباب وهي حسيّة، فهي استعارة للظواهر التي تلبّس بها المخالفون.

وجه الشبه: اشتراكهما في التغطية المناسبة منهما وهو عقلي. وبإسناد الستر اليه ترشيح.

٨ ـ اقمت لكم على سنن الحق في جوادّ المضلّة:

في جوادّ المضلّة استعارتان إحداهما: مكنّي بها عن كون الاهواء والبدع طرائق مسلوكة الى الضلال مستدعية لتشبيهها وهي معقولة بالجوادّ ـ وهي محسوسة.

وجه الشبه: اشتراكهما في الإفضاء الى ما هو المنتهى من كلّ منهما اللائق بها.

والاستعارة الثانية: مكنية، كنّي بها عن أنّ الكفر والجهل ممّا يحصل به الضلال، ولا يهتدي به الى المقصود، مستدعية لتشبيه الكفر وهو عقلي، بالارض التي يضلّ فيها الطريق وهي حسية.

وجه الشبه: اشتراكهما في عدم اهتداء المتمسّك بهما الى المقصد، وهو عقلي وبالإضافة جاء التشريح.

٩ ـ وتحتفرون ولا تميهون:

استعار لفظ الاحتفار عن مظان العلم، وهي كناية عن الكد. واستعار لفظ الماء للعلم فهاتان استعارتان، الاولى مستدعية لتشبيه الباحث عن مظان العلم المتفحّص عنها، والجاد في ازالة العوائق والحجب الحائلة دونه بحفر الارض لاستخراج الماء منها وهما محسوسان.

وجه الشبه: اشتراكهما في الطلب والسعي، وهو عقلي وفيها استعارة اخرى لازمة لهذه مستدعية لتشبيه القلوب بالابار.

وجه الشبه: اشتراكهما في المعدنية للمقصود والمحلية، وهو عقلي.

في «لا تميهون» استعارة اخرى، كنّي بها عن عدم البلوغ الى العلم الذي هو المقصد، مستدعية لتشبيه العلم بالماء.

١٠ ـ انطق لكم العجماء:

في «العجماء» استعارة تخييلية تصريحية مستلزمة لتشبيه الاحوال التي يشاهدونها من فضل الامام وكماله وما صدرت منه من المواقف الرفيعة والمواعظ الحسنة على أنّ تلك المواقف ليس لها لسان تنطق بها، فقد شبهها عليه السلام بالحيوان الذي لا يفصح عمّا اراده، مهما يكن من أمر فان تلك المواقف لهي خير دليل على علّو مكانه وسموه عليه السلام.

وجه الشبه: اشتراكهما في عدم النطق.

١١ ـ «من وثق بماء لم يظمأ»:

فيها استعارة تخييلية مرشّحة، وكنّى بها عن أنّ الواثق به عليه السلام الملتزم بعلمه ومنهجه يحتاج الى شيء يرويه كما يحتاج الى شيء يخلصه من التعب والهلاك، هذا يستدعي تشبيهين، أحدهما: تشبيه نفسه عليه السلام بالماء وهما محسوسان.

وجه الشبه: اشتراكهما في دفع الاذى بهما.

والاخر: تشبيه المسلمين المحتاجين الى التمسّك بالدين بالعطشان.

وجه الشبه: اشتراكهما في الافتقار إلى ما يسدّ الحاجة لهم، ولتخييل أنّه من افراد الماء. وبقوله لم يظمأ ترشيح.

ولا يخفى عليك أنّ في كلمة (ماء) استعارة كنّى عن نفسه به لما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية إلى الله سبحانه فانه الماء الذي لا ظمأ معه.

ثم بين الجهّال والضلال بديع من باب التوازي والترصيع وفي (اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل): نوع من اللف والنشر، وتقديره: نحن متوافقون على سبيل الحق، وانتم متوافقون على سبيل الباطل.

خصائص الخطبه ومضامينها

الخطاب لمن حضر -في ذلك الوقت- من قريش، المخالفين لامير المؤمنين ﷺ، والذين كانوا مع طلحة والزبير وإن صدق في حقّ غيرهم ممّن لم يحضر وهم كذلك مخالفون، فالخطبة كانت بعد انتصاره ﷺ في وقعة الجمل، وهي المعركة التي دارت بين جند اميرالمؤمنين ﷺ والزبير وعائشة في البصرة.

قوله «بنا اهتديتم» اي بدعوتنا ايّاكم الى الحق بما انزل الله سبحانه على الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة، حصل لكم الاهتداء من ظلمات الجهل لا بغيرنا، فلا يليق بكم ولا باسلامكم أن تنكروا حقنا وولايتنا وتقدّموا غيرنا علينا فكان ﷺ -ومن قبله الرسول ﷺ- سبب هداية العرب، وبآل البيت انقذهم الله بعد ما كانوا في ظلمات الجهل.

ثم يخاطب هذا الجمع الحاشد في ساحة النصر فيقول: وبتلك الهداية وشرف الاسلام ارتفع قدركم وشرّف ذكركم فلمّا دخلتم في الاسلام تنوّر باطنكم واشتهرتم بين الناس، ولمّا كان هذا الشرف الذي حصلتم عليه بسببنا فلا يجوز لكم أن لا تطيعونا، وتكفروا بنعمتنا -وهي الهداية- ولا تصغوا الى دعوتنا.

ثم قال ﷺ: «وقر سمع...»

لمّا نفروا منه ولم يصغوا الى دعوته التفت من الخطابة الى الغيبة، ودعا عليهم بالوقر والصّمم على كل سمع لا يفقه صاحبه، والدعاء على صاحب الاذن التي لا تعي اذنه العلم، ولا تستفيد من السماع لمقاصد الكتب السماوية، وكلام الانبياء والدعاة الى الله سبحانه، وربما جاء الدعاء على وجه التوبيخ لهم. ولا يبعد أنه ﷺ قصد الذي لم يسمع بحاله ولم يعرف فضائله ومكانته من الرسول والرسالة فهو أصم ويقوّي هذا المعنى ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ انّها نزلت في الامام علي ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: سألت الله أن يجعلها أذن علي.

ثم قال ﷺ: «كيف يراعي النبأة... الخ».

أي كيف يلتفت الى قولي ويستمع الى كلامي، ويجيب دعوتي من لا يلتفت الى قول الله سبحانه، ولا يسمع كلامه وكلام رسوله، على كثرة تكراره على أسماعهم؟! ولمّا كان من شأن الصوت العالي أن يمنع سماع الصوت الخفي، أطلق الصيحة على كلام الله وأسند اليها الإصمام المراد به الاشتغال بها، والغفلة عما دون ذلك، وهو المقصود من كلام الله وكلام رسوله ألا وهي الإطاعة للوصي الذي نصّبه النبي لهم، وقد أورد ﷺ صيغة السؤال «كيف» على سبيل الإنكار والتهكم لهم.

بعد هذا كأنّما دعاهم الى الثبات، بل وطلب منهم الاتّباع، فدعا للقلوب الخائفة الوجلة من خشية الله التي لم تزغ عن الحق فقال ﷺ: ربط جنان لم يفارقه... أي ثبّت الله تلك القلوب الخائفة من هول المطّلع المضطربة خشية منه، وكأنّما دعا هذا الخلق من جند طلحة والزبير الذين خسروا المعركة الى الهداية فخاطبهم: ما ضرّكم لو تشبّهتم بأولئك المؤمنين الذين تضطرب قلوبهم مخافة من الله «لله درّ الخائفين المراعين لاوامره الوجلين من وعيده» فليتكم تشبّهتم بهم فرجعتم الى الحق، وقمتم به قيام رجل واحد.

ثم وجّه الخطاب لاولئك الناكثين، فقال: مازلت اترصّد لكم سوء عاقبة غدركم لي، وهذا الترصّد امّا باخبار من الرسول ﷺ وامّا بواسطة تحرّكهم المشبوه، فما نطق به كان مصداقا لصحة تفرّسه، ومعرفته بعاقبة امر الناكثين لخير دليل على سعة علمه، وبصيرته النافذة في الامور.

امّا قوله ﷺ: «سترني عنكم جلباب الدين»:

فيه عدّة أوجه، أوضحها: أنّ الدين حال بيني وبينكم وسترني عن أعين

بصائركم، فكان الدين غطاء حائل. لذا تمثّل بعفو الاسلام ورحمته ورأفته، فلم يتبع مدبر، ولم يجهز على جريح.

فأميرالمؤمنين ﷺ هو ادرى بمواطن الضعف والخلل في القوم، كما هو على يقين من امره وما يصلح شأن رعيته، فقال ﷺ في موضع آخر من خطبة له:

(واني لعالم بما يصلحكم ويستقيم أودكم، ولكن ارى إصلاحكم بافساد نفسي...) الخ ثم قال: «ولكن لا تعرفون -قدري- لتراكم حجب الاهواء والبدع على مرأى صفائح خواطركم...

قوله ﷺ: «وبصّرنيك صدق النية»:

صدق النية أي صفاء باطنه وما انطوت عليه نفسه من الاخلاص لله، وصفاء مرآة نفسه القدسيّة التي بها ينظر الى بواطن الاشياء وخفاياها، وهذا يؤكّد كلامه في موضع آخر ﷺ «المؤمن ينظر بنور الله»، وهو ﷺ كذلك ينظر بهذا النور الذي منحه الله له، فهو عارف بسرائرهم وما انطوت عليه نفوسهم، وكان بامكانه أن يكشف عن نواياهم الخبيثة ولبصّرهم بما هم عليه من النفاق والضغائن وحب الرياسة إلا أنّ سجيته تأبى ذلك، هذا من جهة، ومن جهة اخرى حفاظا على المباديء والمثل الاسلامية، وعدم فضح هذه الشخصيات ابقاءً على المنهج الذي رسمه نبي الرحمة، وهو نشر الاسلام في الاصقاع والبلدان، وأنّ الاجيال هي التي ستكشف القناع عن كل زيف وباطل، وهي التي ستحاكم اولئك وإن طال الأمد. فلسان حال اميرالمؤمنين ﷺ كأنما يقول لهم: إنّ الدين كان ساترا إياي عنكم، وانتم تنظرون إلى ظاهري، وليس لكم بصيرة تبصرون بها ما خصّني الله تعالى، فلذا غلبت الضغائن عندكم، وركنتم الى الحسد والبغضاء وانحرفتم عني لجهلكم بحالي.

قوله ﷺ: «اقمت لكم على سنن الحق...»

تنبيه لهم على وجوب طاعته، واقتفاء اثره، اذ هو النهج الصادق وهو السبيل الى الرشاد، اما السبل الاخرى فهي صائرة الى الهلاك، وقد نهى الله سبحانه عن اتباعها فقال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[١]. بل اكّد سبحانه على نهج الحق والصراط الواضح، فقال وعزّ من قائل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[٢].

فالصراط المستقيم والطريق الواضح هو اميرالمؤمنين ﷺ، قال النبي ﷺ مخاطبا لعلي ﷺ: «أنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين»[٣].

هذا هو علي بن أبي طالب ﷺ، اما المخالفون له فكانوا يبحثون ويطلبون ماء الحياة، وكانوا يسعون الى الخلاص والنجاة بالبحث والفحص من اودية القلوب، لكن ما وجدوه إلاّ مع اميرالمؤمنين علي ﷺ.

قوله ﷺ: «اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان»

إنّه حان الوقت كي اخبركم باحوال الامم التي سبقتكم، وما جنوه على انفسهم بفسقهم وعنادهم، انهم عتوا عن امر ربّهم وسلكوا أودية الضلال، فكانت عاقبتهم الخسران والهلاك.

فهو ﷺ يلوّح الى مخزون علمه وكمال معرفته بالعواقب، كما إنّه خُبر عن حوادث سالف الازمان وغابر الدهور. وهذا كاشف حاله وفضله بالقياس إليهم، وما يجب لهم من متابعة ليخبرهم عن واقعهم ومصيرهم إذ شأنهم شأن الامم الغابرة، فكلّ من لم يتّبع اوامر الله سبحانه فقد استحق ما استحقّ الاوّلون، ويبيّن

---

١. الانعام: / ١٥٣.

٢. الانعام: / ١٥٣.

٣. شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٥٨؛ كنزالعمال للمتقي الهندي: ٦ / ١٥٣ و٣٩٤.

لهم ما يوجب عليهم الإذعان لولايته.

قوله ﷺ: «غرب رأي امريء تخلّف عنّي»

في العبارة إشارة الى ذمّ من تخلّف عنه، والحكم عليه بالسفه. وربما قصد توبيخ المخالفين ومن اعرض عن بيعته او نكثها بعد الإبرام، فقد نبّه ﷺ على أنه هو الامام الحق الذي وجبت طاعته على كلّ الخلائق بنصّ من الرسول ﷺ والجميع لا عذر لهم، بل إنّ المتخلف عنه إذا مات على تلك الحال فقد مات ميتة جاهلية.

ثم قال ﷺ: «ما شككت في الحق...»

إنه دليل على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشؤها ضعف اليقين.

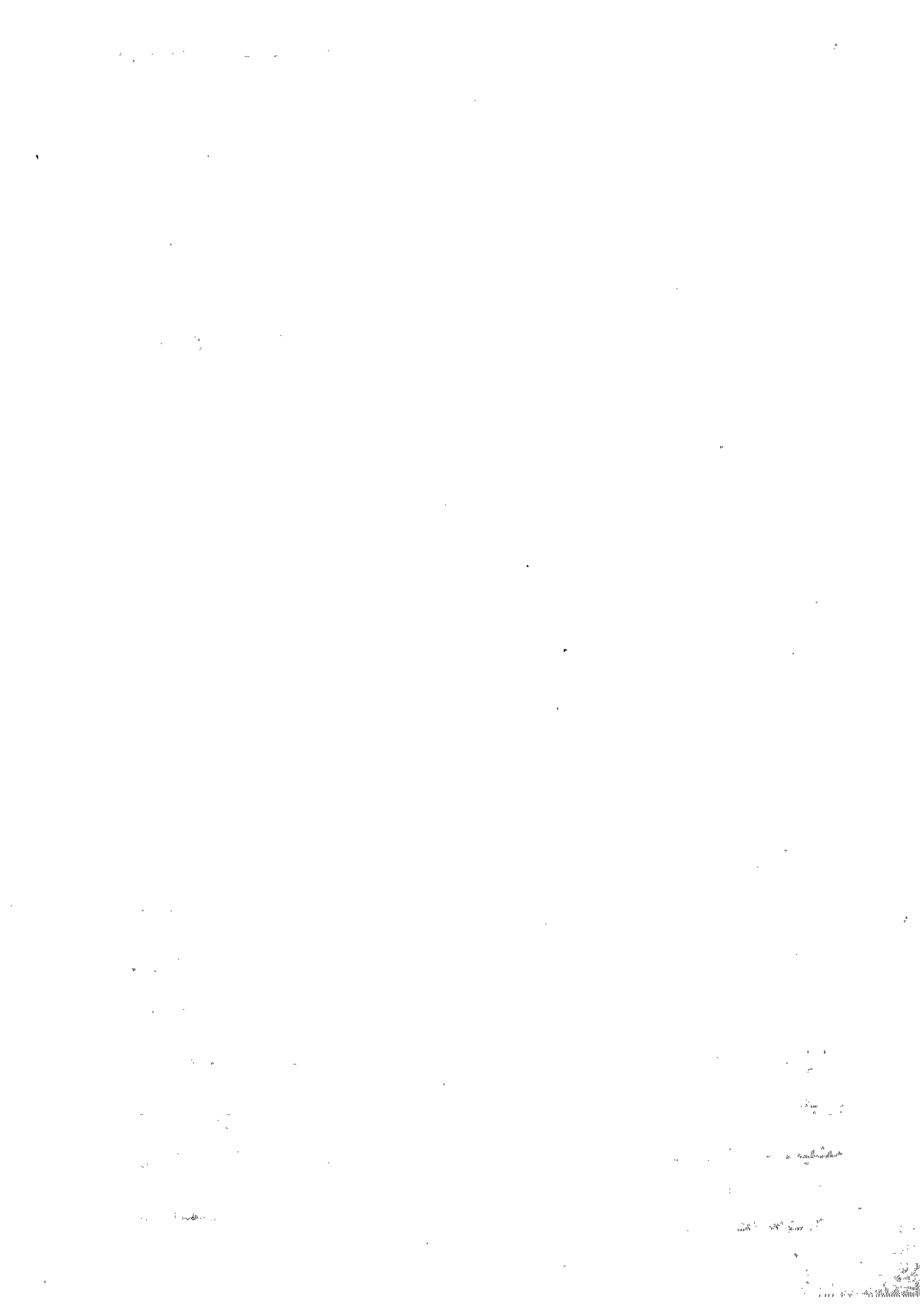
ثم قال ﷺ: «لم يوجس موسى خيفة...»

ربّ سائل يقول لماذا لم يقف الامام علي ﷺ بوجه من غصب الخلافة؟

وبعبارة اخرى لم هذا السكوت اكثر من عقدين من الزمان؟ جواب هذا السائل في صريح قوله ﷺ: (لم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل كان الخوف من غلبة الجهّال على الدين، ووقوع اكثر الناس في فتنتهم، ومن قيام دول الضلال وغلبتهم). ولا يخفى على اللبيب أن الناس بعد وفاة النبي ﷺ كادت تعود الى جاهليتها، وقد قرأت من قبل حروب الردّة -كما يدّعون- فكم أغرتهم الاموال والمناصب، وتركوا الحق المبين، وابتعدوا عن سيد الوصيين؟!

ثم ختم كلامه ﷺ بقوله: «من وثق بماء لم يظمأ»

الماء كما عرفت كناية عنه ﷺ فمن وثق بالامام وبقوله وفعله وعلمه لم يقع في الضلال، ولم يندم بمتابعته له، بل كان في عين الصواب، وعلى حاق اليقين، شأنه كشأن الواثق بوجود الماء، فاذا وثق بوجوده فلم يترك نفسه بدون رواء ليقتله حرّ الظمأ.

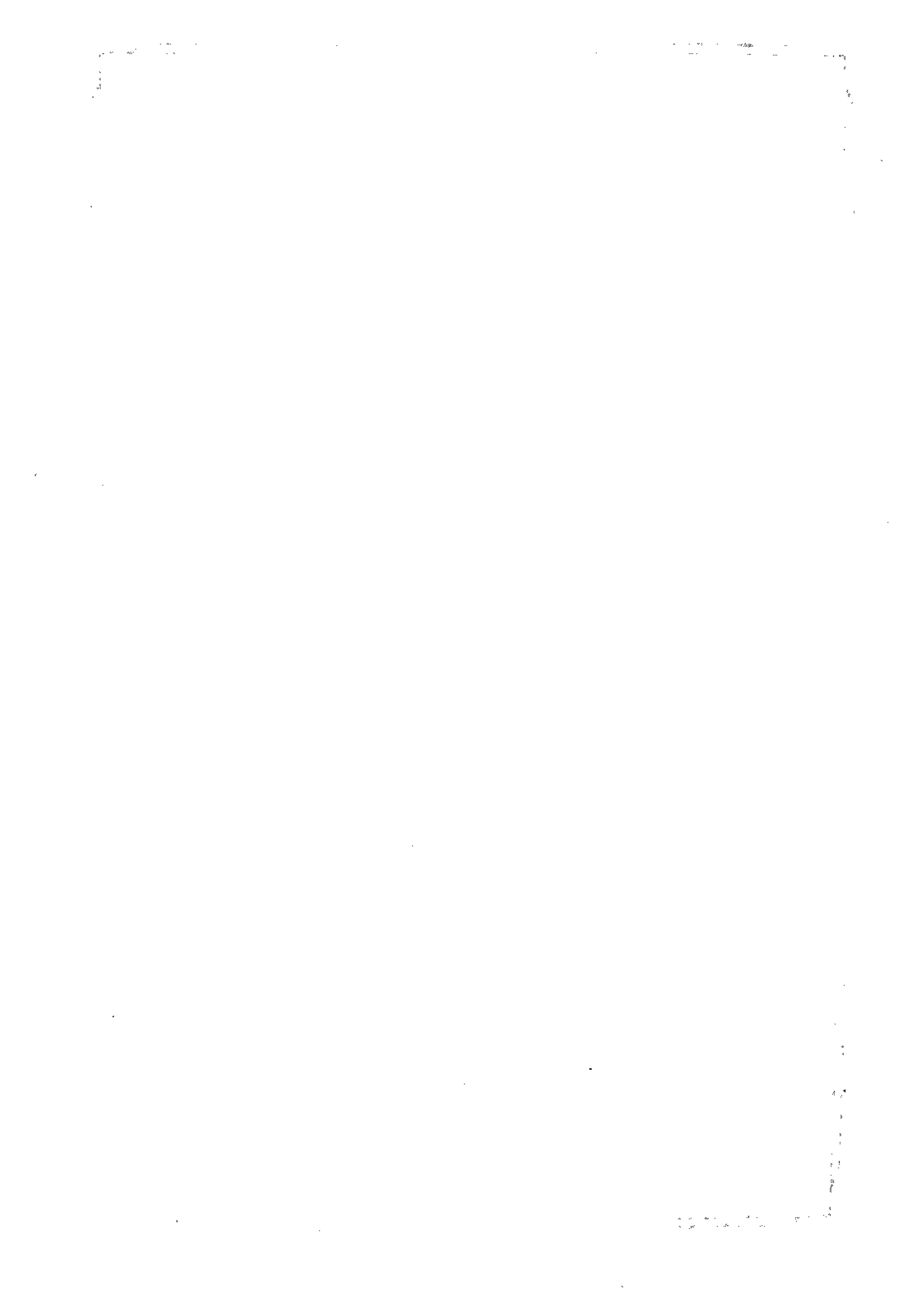




الفصل الثالث

من خطبة له عليه السلام

يصف فيها المتقين



خطبة اميرالمؤمنين عليه السلام[1]

يصف فيها المتّقين

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أميرالمؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم. فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: «يا همّام، اتق الله وأحسن فـ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾[2]. فلم يقنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمدالله وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَ لاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ. مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَ مَلْبَسُهُمُ الاِقْتِصَادُ، وَ مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي

---

١. الخطبة رقم [١٩٣]: من نهج البلاغة.

٢. النحل / ١٢٨.

الرَّخَاءِ. وَ لَوْ لاَ الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْرَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ. وَ هُمْ وَ النَّارُ كَمَنْ قَدْرَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ. وَ أَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَ حَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَ أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا. وَ أَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَها تَرْتِيلاً. يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَ تَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّها نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ. وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ. فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَ أَكُفِّهِمْ وَ رُكَبِهِمْ، وَ أَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ. وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضى، وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ؛ وَ يَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا!.

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ. لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَ لاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِما يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ!

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَ حَزْماً فِي لِينٍ، وَ إِيماناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَ عِلْماً فِي حِلْمٍ، وَ قَصْداً فِي غِنىً، وَ خُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَ صَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَ طَلَباً فِي حَلاَلٍ، وَ نَشَاطاً فِي هُدًى. وَ تَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ. يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ. يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ، وَ يُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ. يَبِيتُ حَذِراً وَ يُصْبِحُ فَرِحاً؛ حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَ فَرِحاً بِما أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ.

إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيما تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْ لَهَا فِيما تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيما لاَ يَزُولُ، وَ زَهَادَتُهُ فِيما لاَ يَبْقَى، يَمْزُجُ الحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ. سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. اَلْخَيرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كانَ في الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَ يُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَ يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلاَزِلِ وَ قُورٌ، وَ فِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَ فِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ، لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَ لاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَ لاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَ لاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَ لاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَ لاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَ لاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَ إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ. وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَ نَزَاهَةٌ وَ دُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَ عَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَ خَدِيعَةٍ.

قَالَ: فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا. فَقَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا وَ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَال: أَهكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَعليه السلام: وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ، وَ سَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً! لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!

مصادر الخطبة:

رواها كل من:

١ ـ أبان بن أبي عيّاش، كما في كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٢١١.

٢ ـ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه، الصدوق ت ٣٨١هـ. في أُماليه ص ٤٥٧ ـ ٤٦٠، المجلس الرابع والثمانون، املاه سنة ٣٦٨هـ. يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب.

انظر طبعة مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٠.

٣ ـ ابن قتيبة في كتاب الزهد من كتاب (عيون الاخبار) م ٢/٣٥٢.

٤ ـ ابن شعبة الحرّاني في (تحف العقول) ص ١٥٩ وفي طبعة اخرى ص ١٠٧ ـ ١٠٩.

٥ ـ الكليني في اصول الكافي ٢ / ٢٢٦.

٦ ـ وابن عبد ربّه[1] الاندلسي في العقد الفريد ١ / ٣١٤.

٧ ـ والمسعودي[2] في مروج الذهب ٢ / ٤٣٢.

٨ ـ والشيخ الطوسي[3] في أماليه ٢ / ١٨٥ ـ ١٨٩.

ورواها جماعة ممن تأخّروا عن الشريف الرضي، ولكن ليس طريقهم الى الشريف، بل تنتهي الى مصادر هي قبل الرضي، منهم:

٩ ـ سبط ابن الجوزي في (التذكرة)، رواها عن مجاهد عن ابن عباس. انظر ص ١٤٨ من التذكرة.

١٠ ـ محمّد بن طلحة الشافعي، رواها في مطالب السؤول ١ / ١٥١، وقد زاد على ما في النهج العبارة الآتية:

اولئك الامنون المطمئنون الذين يسقون من كأس لا لغو فيها ولا تأثيم.

١١ ـ رواها نوف البكالي، قال: عرضت حاجة الى اميرالمؤمنين علي بن

---

١. روى شطرا من الخطبة.

٢. روى شطرا منها.

٣. روى شطرا من كلام امير المؤمنين ﷺ يخاطب بها نوفا.

ابي طالب ﷺ فاستتبعت اليه جندب بن خُثيم، وكان من اصحاب البرانس المتعبّدين، فاقبلنا إليه فألفيناه حين خرج يؤمّ المسجد، فأفضى ونحن معه الى نفر متدنين قد أفاضوا في الاحدوثات تفكّها، وهم يلهي بعضهم بعضا، فاسرعوا اليه قياما وسلّموا عليه، فردّ التحية ثم قال: من القوم؟

فقالوا: اناس من شيعتك يا اميرالمؤمنين.

فقال لهم خيرا، ثم قال: يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا، وحلية أحبّتنا؟

فأمسك القوم حياءً، فاقبل عليه جندب والربيع فقالا له: ما سمة شيعتك يا اميرالمؤمنين؟

فسكت. فقال همّام ـ وكان عابدا مجتهدا ـ اسألك بالذي اكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم، لما أنبئتنا بصفة شيعتك.

فقال: لا تقسم فسأنبئكم جمعيا، ثم ذكر الموعظة بتفاوت يسير مع رواية الرضي، وذكر في آخرها صيحة همّام وموته وغسله.

١٢ ـ وروى الخطبة العلامة الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩هـ. في كنزالفوائد ص ٨٩ ـ ٩٢.

١٣ ـ وممّن روى الخطبة ـ متأخّراً عن الشريف الرضي ـ جماعة كثر، منهم قطب الدين، ابوالحسن سعيد بن هبة الله الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣هـ. في كتابه منهاج البراعة ٢ / ٢٧٥، منشورات مكتبة آية الله السيد المرعشي، قم ١٤٠٦هـ.

شرّاح الخطبة

لخطبة المتّقين شروح عديدة، من أبرزها:

١ ـ شرح محمّد تقي بن مقصود علي المجلسي المتوفّى سنه ١٠٧٠هـ.

قال العلامة محمّد باقر المجلسي في اعتقاداته: هو شرح جامع.

٢ ـ شرح محمّد تقي بن حسين علي الهروي الاصفهاني الحائري المتوفّى سنة ١٢٩٩هـ.

٣ ـ شرح السيد علاء الدين كلستانه المتوفّى سنة ١١١٠هـ.

٤ ـ شرح الفاضل الشريف اميرآصف القزويني كان حيًا سنة ١١٣٦هـ. ايام محاصرة الافغان لاصفهان وتوفي بعدها بقليل.

٥ ـ شرح الشيخ محمّد جواد بن على ابن الشيخ جعفر التستري المتوفّى سنة ١٣٢٥هـ.

٦ ـ شرح ابي القاسم، الشهير بالعلامة ابن الميرزا احمد شيخ الاسلام الاصطهباناتي.

٧ ـ شرح نعمة الهي؛ احد علماء الهند هو باللغة الكجراتية، طبع في الهند.

٨ ـ شرح العلامة المجلسي المتوفّى سنة ١١١١هـ، ضمن كتابه البحار الطبعة الجديدة ٦٧ / ٣١٥.

وهناك شروح أُخر متقدمة على هذه الشروح تاريخيًا لكنها لم تصلنا.

تسلل الخطبة

رقم الخطبة في نهج البلاغه المطبوع هو ١٩٣، غير أنّ الشروح التي تطالعنا ـوقد ذكرنا بعضها ـاعطتها رقما آخرا، مثلاً تجد في مصادر نهج البلاغه للمرحوم العلامة السيد عبدالزهراء الحسيني تحت رقم ١٩١[١].

وفي مصادر نهج البلاغة لعبدالله نعمة تحت رقم ١٨٤[٢].

---

١. مصادر نهج البلاغة / ٣ / ٥٨ ـ ٦٦.

انظر: شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ١٠ / ١٣٤.

٢. مصادر نهج البلاغة لعبدالله نعمة، ص ٢١٢ مطبعة دارالهدى، ١٩٧٢ م، وشرح كمال الدين البحراني ٣ / ٤١٣.

وفي نهج الصباغة للعلامة محمّد تقي التستري تحت رقم ١٨٨[1].

وفي منهاج البراعة لميرزا حبيب الخوئي تحت رقم ١٩٢[2].

معاني المفردات

١ ـ ملبسهم الاقتصاد: يلبسون الثياب المتعارف عليها، لاهي ثمينة جداً، ولا هي رخيصة مبتذلة.

٢ ـ غضّوا أبصارهم: خفضوها وغمضوها.

٣ ـ نزّلت انفسهم منهم بالبلاء: أي أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله، كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يهنون، وإذا كانوا في رخاءٍ كانوا من خوف الله وحذر النقمة، كأنهم في بلاء لا يبطرون ولا يتجبّرون.

٤ ـ اربحت التجارة: أفادت ربحا.

٥ ـ الترتيل: التبيين والإيضاح.

٦ ـ استثار الساكن: هيّجه، وقاريء القرآن يهتدي الى الفكر الصائب الماحي للجهل.

٧ ـ زفير النار: صوت توقّدها.

٨ ـ شهيق النار: الشديد من زفيرها، كأنه تردد البكاء.

٩ ـ حانون على أوساطهم: من حَنَيْتَ العود: عطفته، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة.

١٠ ـ مفترشون لجباههم: باسطون لها على الارض.

١١ ـ فكاك الرقاب: خلاصها.

---

١. نهج البلاغة للتستري ٩ / ٦٥ ـ ١١٥.

٢. منهاج البراعة لميرزا حبيب ١٢ / ١٠٦ ـ ١٦٨.

١٢ ـ القداح: مفردها قِدح بالكسر، وهو السهم قبل أن يُراش. وبراه: نحتَهَ أي رقّق الخوف أجسامهم كما تُرقق السهام بالنحت.

١٣ خولط في عقله: مازجه خلل فيه، والامر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله.

١٤ ـ مشفقون: خائفون من التقصير.

١٥ ـ زُكّي أحدهم: مدحه أحد الناس.

١٦ ـ قصدا: أي اقتصادا.

١٧ ـ التجمّل: الاعتناء بالمظهر من زينة وغيرها.

١٨ ـ تحرّجا عن طمع: تباعدا عن طمع، وعدّ الشيء حَرَجاً أي إثماً.

١٩ ـ استصعبت: لم تطاوعه.

٢٠ ـ منزورا: قليلاً.

٢١ ـ حريزا: حصيناً.

٢٢ ـ الفُحش: القبيح من القول.

٢٣ ـ في الزلازل: الشدائد المُرعِدة.

٢٤ ـ الوقور: الذي لا يضطرب.

٢٥ ـ لا ينابز بالالقاب: لا يدعو باللقب الذي يكره ويشمئز منه.

٢٦ ـ صَعِق: غُشيَ عليه.

من هو همّام؟

كما في شرح عبدالحميد بن ابي الحديد[١]، هو همّام بن شريح بن يزيد بن

---

١. شرح النهج ١٠ / ١٣٤ ط بيروت.

مرّة بن عمر بن جابر بن يحيى بن الاصهب بن كعب بن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن سيف بن سعد العشيرة[1].

وفي البحار: هو همّام بن عبادة بن خُثيم ابن اخ الربيع بن خثيم أحد الزهّاد الثمانيه كما رواه الكراجكي في كنزه وهو بسنده عن ابي المفضل الشيباني قال: حدّثنا محمّد بن على بن أحمد بن عامر البندار بالكوفة من أصل كتابه، وهذا الحديث بلفظه وهو أتم سياقة، قال حدّثنا الحسن بن علي بن بزيع، قال حدّثنا مالك بن ابراهيم بن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن رجل من قومه، يعني يحيى بن امّ الطويل، أنه اخبره عن نوف البكالي، قال: عرضت لي إلى اميرالمؤمنين حاجة... الخ[2].

وما نقله الامام الكراجكي الطربلسي فيه زيادات لم تكن في النهج للشريف الرضي، وهذ يدلّ على أنّ الكراجكي اخذ هذه الخطبة من مصادر هي اسبق من جمع الرضي وصريح عبارته قال: «حدّثنا محمّد بن علي بن احمد بن عامر البندار بالكوفة من اصل كتابه...».

ثم في نهاية الخطبة ذكر صلاة اميرالمؤمنين عليه‌السلام على جنازة همّام عشية ثم قال: قال الراوي عن نوف، فصرت الى الربيع بن خثيم فذكرت له ما حدّثني نوف، فبكى الربيع حتى كادت نفسه أن تقبض، وقال: صدق أخي أنّ موعظة اميرالمؤمنين عليه السلام وكلامه ذلك مني بمرأىً ومسمع ما ذكرت ما كان من همام بن عبادة، يومئذٍ وما أتاني هنيئة الا كدّرها ولا شدّة إلا فرّجها[3].

---

١. ووافق ابن الحديد جماعة منهم: كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحراني المتوفّى سنة ٦٧٩هـ، وكذلك وافقه المجلسي كما في شرحه: ٢٠ / ٣٤٧ط وزارة الارشاد طهران ١٤١٨هـ.

٢. كنز الفوائد للكراجكي ت ٤٤٩هـ، ص ١ / ٨٨.

٣. كنز الفوائد، ابوالفتح محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي ت ٤٤٩هـ منشورات دار الذخائر، قم ١٤١٠هـ.

هذه الزيادة لم يذكرها الرضي.

قال فيه اهل الحديث والتراجم: همّام من أهل البرانس وبعضهم قال: من الزهّاد وقال فيه المامقاني:

يستدل من كلّ ذلك كون الرجل فوق رتبة العدالة[١].

وقال العلامة السيد محسن الامين العاملي: همّام بن عبادة بن خثيم صاحب اميرالمؤمنين عليه السلام هو ابن اخ الربيع بن خثيم احد الزهاد الثمانية[٢].

ثم اختلفت الروايات في مكان تلقّي الخطبة والسبب الذي أدّى الى إنشائها.

جاء في اصول الكافي في باب: المؤمن وعلاماته وصفاته، عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن اسماعيل، عن عبدالله بن داهر، عن الحسن بن يحيى، عن قثم أبي قتادة الحرّاني، عن عبدالله بن يونس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قام رجل يقال له همّام ـ وكان عابدا، ناسكا مجتهدا ـ الى اميرالمؤمنين وهو يخطب، فقال: يا أميرالمؤمنين صف لنا المؤمن... الخ[٣] يستدل من هذه الرواية أنّ الامام كان مشغولاً في خطبته وقد قام اليه همّام ثم سأله عن صفات المؤمن.

قال العلامة المجلسي في شأن الاختلاف بين هذا النص في الكافي وما في النهج:

(لكنه منقول في نهج البلاغة باختلاف كثير... وهما بما في النهج أوفق)[٤].

بينما الروايات الاخرى أنّ همّام سأله عن صفات المتّقين. وفي روايات اخرى انه سأله ومن معه عن سمات الشيعة.

---

١. تنقيح المقال، عبدالله المامقاني ت ١٣٥٣، ٣ / ٣٠٤، المطبعة المرتضوية، النجف ١٣٥٢هـ.

٢. اعيان الشيعة، محسن الامين ١٠ / ٢٧١، دار التعارف، بيروت ١٩٨٣م.

٣. اصول الكافي، محمّد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ٢ / ٢٢٦، دار التعارف بيروت ط ٤، ١٤٠١هـ.

٤. مرآة العقول، محمّد باقر المجلسي ت ١١١١هـ، ٩ / ٢٠٢ ط ٢، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٣ / ١٤٠٤.

لماذا تثاقل اميرالمؤمنين ﷺ عن جواب همّام؟

يمكن تصوير هذا التثاقل وارجاعه لاحد الاسباب:

١ ـ يحتمل أنّ تثاقله ﷺ عن الجواب لانّه علم أنّ المصلحة في تأخيره.

٢ ـ ويحتمل أن يكون في المجلس ممّن ليس هو أهل الموعظة، فكَرِه الاجابة وهو حاضر، فلمّا انصرف أجاب.

٣ ـ ويحتمل أن يكون التثاقل لامرٍ هو فيه تشويق للسائل، فيكون أنجع في الموعظة.

٤ ـ وربما كان التأخير ليرتّب المعاني كما ينبغي، مراعاة لمقتضى حال السامع، وما هو الأنفع له ولمن يحذو حذوه في السؤال.

ولا يخفى على النبه اللبيب أنّ تلك الوجوه والاحتمالات المتقدمة بعضها اوجه من البعض الاخر وأقرب الى الصواب، كيفما كان ليس المهم تشخيص أو تقديم بعضها دون الآخر، بل المهم معرفة بعض تلك العلل لذلك التثاقل والله سبحانه أدرى بخفايا الامور.

المدخل الى الخطبة:

قوله ﷺ: يا همّام اتقِ الله وأحسن...

من الدعائم المهمة في حياة الانسان هو الايمان بالله سبحانه ثم توحيده؛ في الذات والصفات والافعال.

فاذا استقام العبد واخلص الايمان كان عليه أن يطلب العلم وأن يعمل به، جاء في الحديث عن المعصوم ﷺ:

أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، وأن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، وأن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسَيَفي

لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد امرتم بطلبه من اهله فاطلبوه[١].

اذن معرفة الله سبحانه بعد الايمان به مقدمة للتقوى، فاذا علم العبد مكانة الخالق وقدرته وعظمته، كان عليه من بعد هذا ان يتّقيه أي أن يخافه.

والتقوى على مراحل:

اولى مراحلها هي اتقاء الشرك.

ثانيها: اتقاء الذنب وكلّ شيء نهىٰ الله عنه.

ثالثها: اتقاء الكسل في اداء الواجب، والحذر من تضييع ما اوجبه الله على العبد ومما افترضه سبحانه.

رابعها: اتقاء المكروهات، اي ما ابغضه الله وحثّ على تركه.

اذن كلام الامام عليه السلام يقودنا الى اعداد العُدّة إلى الآخرة، واوّل هذه العدة هي تقوى الله في السّر والعلانية ليأمن القلب عند المحشر وفيما لو وقف العبد امام الرب للسؤال...

لكن هذه القلوب يلزمها مع الخوف حسن الظن بخالقها والانس الى رجائه، لا أن يدخلها اليأس.

فمن كان شأنه في الدنيا هكذا سوف يحظىٰ بالنجاة، لان الله سبحانه سينقل من كانت صفاتهم كذلك، سينقلهم من المكابدة الى النعيم بطاعته والسرور بها... لان هؤلاء الذين قنعوا من الدنيا باليسير منها، فطاب عيشهم في الآخرة وأحسن لهم الله سبحانه بحسن المثوبة، وقد وعد الله عباده على تقواهم بالامن والسلام قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ **إنّ المتّقين في جنات وعيون ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ** ﴾[٣].

---

١. اصول الكافي ١ / ٣٠ حديث ٤ ط الاخوند، طهران.

٢. الدخان / ٥١.　　٣. الحجر / ٤٥ و٤٦.

وقال تعالى: ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].

ونتيجه ما تقدم تجده في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾[٢].

استطيع أن أوجز ما تقدّم بسؤال ثم الجواب عليه:

اقول: ما التقوى؟

الجواب: انّها الحذر بالمجانبة عما حرّم الله ولما كرهه سبحانه.

وهذا الحذر في خصلتين:

- تضييع واجب.

- ركوب ما حرّم الله ونهى عنه في السّر والعلانية.

وكي نتلافى هاتين الخصلتين يلزمنا:

اوّلاً: القيام بما أوجب الله سبحانه والامتثال بنية الاخلاص له سبحانه، حتى نرجو ثوابه.

ثانيا: ترك ما نهى الله عزوجل لله ليس لغيره، أي اخلاص النية مخافة عقاب الله سبحانه.

هذا كله يؤدي بالعبد الى الورع، وهو تجنب ما حرّم الله عليه.

فيما تقدّم يظهر جلياً أنّ الخوف اسبق من التقوى.

جاء في الخبر: أنه يقول جل وعزّ في يوم القيامة: «وعزّتي وجلالي لاأجمع اليوم لعبدي أمنين، ولا أجمع عليه خوفين، فمن خافني في الدنيا أمّنته اليوم، ومن أمنني في الدنيا اخفته اليوم، فعليك أخي المؤمن أن تستشعر جيدا قلبك اليوم اين؟

---

١. يونس / ٦٢.

٢. النحل / ١٢٨.

وغدا كيف تجيب...؟

لانّ قلبك لا يخلو في ذلك الوقت من أن يكون أحد قلبين، إمّا قلبا كان في الدنيا لله تعالى خائفا. وامّا قلبا كان في الدنيا غافلاً مغترا آمنا.

ففي الحالة الاولى ترى هذه القلوب مصيرها في الآخرة وهي الى النجاة أقرب، وسوف يدخلها الفرح والسرور إن شاء الله، وسوف يحلّ فيها الامن... لان الله سبحانه سوف لا يجمع على عبده خوفين؛ خوف الدنيا وخوف الآخرة، فإنّه ألطف بعباده وأكرم، نسأل الله سبحانه أن يشملنا بعطفه وكرمه....

وفي الحالة الثانيه ترى هذه القلوب مصيرها في الآخرة وهي الى الهلاك أقرب ـاعاذنا الله ـ وسوف يدخلها الحزن والغم والفزع الاكبر والرعب، بل سوف تغلبها الندامه والحسرة لانّ هذه القلوب كانت غافلة عاملة بالمعاصي والذنوب، وكانت كافرة بأوامر الله فهي الى الشرك أو الى الكفر تنسب، وما كان حالها هذا فلن تنجو من عذاب الله العزيز الجبّار.

شرح الخطبة

في هذا الكلام البليغ ذكر اميرالمؤمنين ﷺ مائة صفة وخمسة صفات وهي في الحقيقة موعظة بليغة لكل فرد يطلب النجاة من هذه الدنيا وزخرفها، والفوز بالآخرة وحلاوتها.

إنّه ﷺ استفتح كلامه في شأن الخالقيّة، فهو سبحانه الذي خلق الخلق ولم يشاركه فيه أحد، وهذا بيان في توحيد الله سبحانه في افعاله والتي منها الخالقيّة، ثم قدّم ﷺ صورة واضحة عن هذه الخالقيه فهو سبحانه لمّا كان خالقا لكل ما في الوجود فهو غني عن الخلق في طاعتهم وآمِنا من معصيتهم.

ولمّا كان اشرف ما يتقرب به البشر إلىٰ الله إنّما هو بالتقوى؛ لذا جاء البيان

بشكل جلي وواضح، ثم لمّا كانﷺ في معرض صفات المتّقين فلا يبعد أنْ يَعِضَ ﷺ بكلامه هذا الجاهلين من الناس.

قد يتصوّر بعض ضعاف العقول بأن لله سبحانه منفعة في طاعة من أطاعه، وله بمعصيته مضرّة... لذا جاء في صدر الخطبة ما يدفع هذا الوهم، فافتتح كلامه ﷺ بتنزيهه تعالى عن الانتفاع او الضرر.

قال ﷺ: فتقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، تقرير لكمال غناه عن العباد فلاهم يجلبون له منفعة ولا يدفعون عنه ضررا، بل هو الغني المطلق، وهو مبدء خلقهم. وفي عبارة الامام تضمين لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾[١].

ثم أخذ ﷺ في غرض الخطبة، أي بالجواب عما سُئل؛ وهو وصف المتّقين، فوصفهم على وجه الإجمال:

١ ـ المتّقون المستجمعون الفضائل المتعلّقة باصلاح قوّتي العلم والعمل، وهذا وصف مجمل يتبعه تفصيل.

٢ ـ منطقهم أي كلامهم: الصواب وهو مختص بفضيلة العدل المتعلقة باللسان.

٣ ـ ملبسهم: فمن صفات المتّقين العدل في الملبوس، فلا هو مترف ولا هو من أهل الخسّة والدناءة.

٤ ـ مشيهم: التواضع، وهو ملكة تحت العفّة تعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر. والتواضع مستلزم للسكون والوقار. والمعنى مأخوذ من قوله تعالى[٢]: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٣].

---

١. الزخرف / ٣٢.

٢. من وصايا لقمان لابنه يعظه.

٣. لقمان / ١٩.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[١].

٥ ـ غضوا ابصارهم عمّا حرّم الله عليهم، والغض عن الحرام هو ثمرة العفّة.

٦ ـ اسماعهم: إنهم خصّوا هذه الحاسة باستماع العلم، وهي فضيلة العدل في قوّة السمع. والعلوم النافعة ماهو كمال القوة النظرية، وهذا من العلم الالهي. وما هو كمال للقوة العملية، وهي الحكمة العملية. فهم دائما شغلوا اسماعهم بالاصغاء والاستماع الى ماهو نافع من العلوم.

٧ ـ انفسهم في البلاء والرخاء سواء: أي أنّ نفوسهم لا تقنط من بلاء ينزل بها، ولا تبطر برخاء يصيبها، بل مقامها في الحالين الشكر، وهذا يعني قلّة مبالاتهم بشدائد الدنيا ومِحَنِها.

٨ ـ خوفهم من العقاب وتطلّعهم الى الثواب: إنّ غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم الى غايةٍ إنّ ارواحهم لا تستقر في اجسادهم من ذلك لولا الأجال التي كتبت لهم، وهذا الشوق وذاك الخوف اذا بلغ الى حدّ الملكة فانه يستلزم دوام الجدّ في العمل والإعراض عن الدنيا، ومبدأ كل ذلك هو تصوّر عظمة الخالق، وبحسب ذلك التصوّر تكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان عظيمان للجنة.

٩ ـ عظم الخالق في انفسهم: هناك استغراق من المتقين في معرفة الخالق ومحبته، وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصوّر العظّمة، وبحسب تصوّر عظمته تعالى يكون تصوّرهم لِأصغريّة مادونه.

١٠ ـ فهم والجنة كمن رآها...

---

١. الاسراء: / ٣٧.

اشارة الى أن العارف وإن كان في الدنيا بجسده، فهو في مشاهدته بعين بصيرته لاحوال الجنّة وسعادتها، واحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا النار وعذّبوا فيها، وهي مرتبة عين اليقين. فحسب هذه المرتبة كانت شدّة شوقهم الى الجنة، وشدّة خوفهم من النار.

١١ ـ قلوبهم محزونة: الحزن هو ثمرة الخوف الغالب عليهم، وهذا الحزن غير الكآبة، ولا دخل له في تقطيب الوجه او العبوسة.

١٢ ـ وشرورهم مأمونة: لا يصدر عنهم الشر لان مبدأ الشر هو حبّ الدنيا، والعارفون بمعزلٍ عنها. بل الذي يصدر عنهم هو الخير والمعروف والإحسان.

١٣ ـ اجسادهم نحيفة: إنّه لكثرة صيامهم، والسهر في طاعة الله سبحانه، وهكذا خشونة المطعم والملبس سبب في نحافة أجسادهم، فهم لم يبالوا بملاذ الدنيا وزبرجها بل هجروها رغبة لما عند الله سبحانه.

١٤ ـ حوائجهم خفيفة: لإقتصارهم على الضروري من حوائج الدنيا.

١٥ ـ انفسهم عفيفة: وهذه الملكة تعود الى فضيلة القوة الشهويّة وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور.

١٦ ـ صبرهم على المكاره ايّام حياتهم: انّهم تركوا الملاذ الدنيويّه وصبروا على أذى الناس لهم. وفائدة الصبر هي مقاومة النفس الأمّارة بالسوء لئلا ينقاد الى قبائح اللذات قال تعالى: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾[1].

١٧ ـ اعقبتهم راحة... تجارة مربحة:

استعار (سلام الله عليه) لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة وامتثال أوامر الله، ووجه المشابهة كونهم متعوّضين بمتاع الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الآخرة،

---

١. الانسان / ١٢.

ورشّح بلفظ الربح لِأفضليّة متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه.

١٨ ـ عدم ارادتهم للدنيا مع إرادتها لهم: فيها إشارة الى الزهد الحقيقي، وهو ملكة تحت العفّة، وكنّى بارادتها عن كونهم اهلاً لان يكونوا فيها رؤساءاً وأشرافاً كقضاة ووزراء واشباه ذلك. ويحتمل أن قوله ﷺ ناظر الى إرادة أهل الدنيا، فأرادوهم الى منافعهم الدنيويّة بينما المتّقون نبذوا تلك الدنيا الفانية ليعتصموا بالآخرة الباقية.

١٩ ـ لم تأسرهم الدنيا: بل فدوا أنفسهم من اسر الدنيا.

وهي اشارة الى من ترك الدنيا وزهد فيها بعد الانهماك فيها والاستمتاع بها، ففكّ بذلك الترك والاعراض. وهذا هو انحلال الهيئات الرديئة المكتسبة منها من عنقه.

اقول: لفظ (الأسر) فيها استعارة في تمكّن تلك الهيئات من نفوسهم، ولفظ (الفدية) استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالإعراض عنها. والمواظبة على طاعة الله ثم أنّ الزهد في الدنيا كما يكون متأخرا عن إقبالها عليه كذلك قد يكون متقدّما عليه.

٢٠ ـ صافّين أقدامهم بالليل يتلون القرآن...

اشارة الى تطويع نفوسهم ـ الأمّارة بالسوء ـ بالعبادات وكيف ينتفعون في تلاوة القرآن وترتيلهم له بفهم مقاصده وتحزينهم لانفسهم به عند ذكر الوعيد... ولمّا كان داءُهم هو الجهل وسائر الرذائل العملية، فلابدّ من معالجة ذلك الداء الوخيم، وليس للجهل من دواء إلاّ بالعلم، ودواء كل رذيلة هو الحصول على الفضيلة المضادة.

وقوله ﷺ يحزّنون به أنفسهم: أي يستجلبون بتلاوة القرآن ما هو تأديب للنفس، ومن صور ذلك التأديب أنهم يستثيرون عواطفهم فيركنون الى البكاء خشية من عذاب الله سبحانه، والبكاء يُعدّ دواءً لمن اصاب من الذنوب

والمعاصي ما يعلمه وما لا يعلمه، وحالة البكاء هي أجلى صورة للتوبة والندم على ذلك الاسراف، لهذا تجد المتّقين اذا مرّوا بآية فيها ذكر الثواب مالوا اليها واطمأنوا بها طمعا في نيله.

٢١ ـ فهم حانون على اوساطهم: كناية عن كثرة صلاتهم وركوعهم.

٢٢ ـ مفترشون لجباههم... الخ: اشارة الى كيفية سجودهم وذكر الاعضاء السبعة عند السجود.

٢٣ ـ يطلبون... فكاك رقابهم.... اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك.

٢٤ ـ ومن صفات المتّقين: في النهار حكماء (الحكمة الشرعية)، وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية. أو كونهم حلماء، وهي فضيلة تحت ملكه الشجاعة، والشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والإفراط في الغضب. وانما خصّ الليل بالصلاة لكونه اولى به من النهار.

٢٥ ـ كونهم علماء... أراد بذلك كمال القوة النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع.

٢٦ ـ كونهم أبرار... والبر يعود الى العفيف لمقابلته الفاجر.

٢٧ ـ كونهم اتقياء، والمراد بالتقوى: الخوف من الله سبحانه، وقد أعدّها من صفات النهار لمخالطتهم الناس فيه.

٢٨ ـ وقد براهم الخوف... فيحسبهم الناظر مرضى: شرح لفعل الخوف الغالب بهم، وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن.

شبّه بري الخوف لهم ببري القداح، ووجه الشبه شدّة النحافة. ويتبع ذلك السحنات والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى وإن لم يكن بهم مرضٌ.

٢٩ ـ قد خولطوا.... يقول الناظر اليهم إنّهم قد أُصيبوا بعقولهم، وليس الامر كذلك، والعبارة فيها اشارة بليغة الى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالملأ الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط حركاته.

٣٠ ـ فهم لانفسهم متّهمون: إنّ خوفهم من اعمالهم يعود الى شكّهم فيما يحكم به اوهامهم من حسن عبادتهم، وهل هي مقبولة أو انّها جاءت على وجه المطلوب.

فان هذا الوهم يكون مبدأ للعجب بالعبادة، ثم إنّ العجب من المهلكات. قال ﷺ ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه. وكذلك خوفهم من تزكية الناس لهم.

مجمل صفات المتّقين السابقة

١ ـ القوّة في الدين، فلا يدخلهم الوسواس أو خداع الناس.

٢ ـ الحزم في الامور الدنيوية والتثبّت والعدل في المعاملة مع الخلق.

٣ ـ الايمان في اليقين، وهو التصديق بالصانع... وطرح الحجب المانعة على المشاهدة اليقينية.

٤ ـ الحرص في العلم والازدياد منه.

٥ ـ مزج العلم بالحلم.

٦ ـ القصد في الغنى (فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا).

٧ ـ الخشوع في العبادة، وهو ثمرة الفكر في جلال المعبود وعظمته.

٨ ـ تحمّل الفاقة والفقر بترك الشكوى الى الخلق.

٩ ـ الصبر في الشدائد والمكاره.

١٠ ـ طلب الحلال، ومنشؤه العفّة.

١١ ـ النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله، ومنشؤه قوّة الاعتقاد.

١٢ ـ عمل الصالحات على وجل وخوف (خشية أن يقول لي ربّي لالبّيك) وهذا من كلام الامام زين العابدين ﷺ في التلبية.

١٣ ـ همّهم الشكر في المساء والذكر في النهار.

١٤ ـ يبيت حذراً ويصبح فرحا.

١٥ ـ مقاومة المتقي لنفسه الامارة بالسوء.

١٦ ـ ذكره للموت لذا قصر أمله.

١٧ ـ قلّة زَلَلِهِ وزلل المؤمن هو ترك الاولى.

١٨ ـ خشوع القلب.

١٩ ـ قناعة النفس.

٢٠ ـ قلّة الاكل، لان البطنة تذهب الفطنة، ومن مساويء البطنة زوال الرقة وحدوث القسوة والكسل.

٢١ ـ سهولة أمره، فلا يتكلّف لاحد.

٢٢ ـ صيانة دينه، فلا يهمل شيئا من العبادة والطاعة.

٢٣ ـ ميّتة شهوته (لفظ الموت) استعارة لخمود شهوته عما حرّم عليه، فهنا إشارة إلى العفّة.

٢٤ ـ كظم الغيظ.

٢٥ ـ الخير عمله، فلا يعرف عنه الشر.

٢٦ ـ عفوه عمّن ظلمه، أي تركه الانتقام مع قدرته عليه.

٢٧ ـ يعطي من حرمه، وهي فضيله تحت السخاء.

٢٨ ـ يصل من قطعه، وهي فضيلة تحت العفّة.

٢٩ ـ بَعُدَ فحشه، أي بعيداً عن الكلام غير الائق.

٣٠ ـ تواضعه مع الناس، وكلامه ليّن حتى في حالة الشدّة.

٣١ ـ التزامه بحدود الله.

٣٢ ـ خيره مقبل وشرّه مدبر، وتقدّم مثله وربما إن طاعته في ازدياد.

٣٣ ـ يتحلّى بالوقار عند الزلازل والامور العظام والفتن.

٣٤ ـ حبّه لا يصل الى الآثام، أي لم يتّبع الهوى والفجور.

٣٥ ـ اعترافه بالحق قبل أن يشهدوا عليه لتحرّزه عن الكذب.

٣٦ ـ الورع في لزوم حدود الله، فلا يضيّع اماناته...

٣٧ ـ لا ينابز بالالقاب، لأنّ ذلك يثير الفتن والتباغض بين الناس، ويخلق فيما بينهم الفرقة.

٣٨ ـ لا يضار الجار، قال ﷺ أوصاني ربّي بالجار حتى ظننت أنّه يورثه.

٣٩ ـ لا يشمت بالمصائب، أي لا يفرح بنزولها على غيره.

٤٠ ـ لا يدخل في باطل، ولا يخرج عن الحق.

٤١ ـ لا يعلوا ضحكه لغلبة ذكر الموت. كما رُوي عمّن شاهده أنّ اكثر ضحكه التبسّم.

٤٢ ـ صبره في البغي عليه الى غاية انتقام الله له.

﴿ ذلكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[1].

القرآن يأمرنا بالتقوى

اكّد سبحانه وتعالى على التقوى، وحثّ الناس عليها، ورتّب فوائد جمة عليها، بل إنّ عنصر التقوىٰ في سيرة البشر من الاسس المهمة في سلامة المجتمع والفوز بالآخرة، فهي من عناصر النجاح والسعادة، فان آيات التقوى كثيرة جداً حيث وردت صور مشتقاتها في ٢٤٩ موردا من القرآن الكريم.

---

١. الحج / ٦٠.

جاءت بلفظ صيغة الماضي (اتّقوا) في (١٩) موضعاً من القرآن، وجاءت بصيغة الماضي (اتقى) المسند الى ضمير الغائب (هو) في سبعة مواضع.

وجاءت بصيغة الحث والتشويق والتنبيه: (لعلكم تتّقون)، (أفلا تتّقون)، (ألا تتقون) في (١٩) موضعا.

وبلفظ (يتّقون) في (١٨) موضعا.

وجاءت بصيغة الامر (اتّقُوا) في (٦٩) موضعاً، واما بصيغة الاسم (المتّقون)، (المتّقين) في (٤٩) موضعا.

ثم هناك ايعاز بل تصريح للكشف عن سبب هذا الحث والتأكيد على التقوى انظر الى هذه الصور من التأكيد وما تتضمّن من اسباب وعلل ونتائج، قال تعالى:

اتقوا النار ← التي وقودها

اتقوا يوما ← لا تجزي نفس عن نفس

واتقوا الله ← اليه تحشرون

واتقوا الله ← أن الله بكلّ شيء عليم.

واتقوا الله ← بما تعملون بصير.

واتقوا الله ← لا تموتنّ اِلا وانتم مسلمون

واتقوا الله ← وذروا ما بقي من الربا

اتقوا الله ← عليم بذات الصدور

اتقوا الله ← ولتنظر نفس ما قدّمت لغد.

ثم خلاصة مجموع تلك الآيات الكريمة قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾[1].

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2].

---

١. البقرة / ١٩٧.

٢. الحجرات / ١٣.

ثمرة التقوى

يطالعنا القرآن الكريم بثمار عديدة تشكّل السعادة في الدارين، غير أنّ اغلب الناس هم عنها غافلون إلا ما رحم ربي.

فمن ثمار التقوى قوله تعالى من سورة آل عمران:

﴿ للذين اتقوا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴾[١].

١ ـ إنّها الجنه، والازواج المطهرة، ورضوان من الله وهو فوق جميع الثمار المادية والمعنوية.

وفي آية ١٩٨ انزل سبحانه المتّقين منزلة الابرار وهي المنزله العاليه انّها الجنة خالدين فيها.

وفي آية ١٧٢ للمتقين أجر عظيم وهي ثمرة اخرى.

٢ ـ ومن ثمار التقوى: تكفير السيئات:

قال تعالى: **﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾**[٢].

٣ ـ ومن ثمار التقوى: انّها تستلزم الإحسان والله يحبّ المحسنين قال تعالى: **﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾**[٣].

وقال تعالى: **﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾**[٤].

---

١. ينظر: آل عمران / ١٥ و١٩٨ و١٧٢.

٢. المائدة / ٦٥.

٣. المائدة / ٩٣.

٤. النحل / ١٢٨.

وما ارقى هذه المنزله؛ انّها المعيّة أي القرب المعنوي من الله سبحانه.

٤ ـ ومن ثمارها: البركات، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١].

٥ ـ ومن ثمارها: عقبى الدار، أي العاقبة الحسنة، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾[٢].

٦ ـ ومن ثمارها: الخير، الجنة، الدار الآخرة، بل كل شيء تتشوق اليه نفوس المتّقين، وعليهم السلام من الملائكة...

قال تعالى من سورة النحل:

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

٧ ـ ومن ثمارها: الغرف والمنازل التي تجري من تحتها الانهار.

قال تعالى: ﴿ لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللّٰهِ لاٰ يُخْلِفُ اللّٰهُ الْمِيعَادَ ﴾[٤].

---

١. الاعراف / ٩٦.

٢. الرعد / ٣٥، انظر: آيه ١٠٩ من سورة يوسف.

٣. النحل / ٣٠ ـ ٣٢.

٤. الزمر / ٢٠.

٨ ـ ومن ثمارها: النجاة من كل سوء.
قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].
٩ ـ ومن ثمارها: الاطمئنان وعدم الخوف يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلُ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

هؤلاء هم اصحاب الاعراف الذين يدخلون الجنة لا خوف عليهم...[٣].

أقول: خير ما نختتم به هذه الفقرة من بحث ثمار التقوى قول اميرالمؤمنين عليه السلام، قال: لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العُجب، ولا عقل كالتدبير، ولاكرم كالتقوى، ولا قرين كحُسن الخلق، ولا ميراث كالادب، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا ربح كالثواب، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة، ولا زهد كالزهد في الحرام، ولا علم كالتفكر، ولا عبادة كاداء الفرائض ولا إيمان كالحياء والصبر، ولا حسب كالتواضع، ولا شرف كالعلم، ولا عزّ كالحلم، ولا مُظاهرة أوثق من المشاورة.

من صفات المتّقين: الحب في الله

الحب فطرة انسانيه وهبة ربّانية، وهو في الاصل علاقة العبد بربّه، وهو المحور الرئيسي الذي تدور عليه رياضات العبّاد وأهل العرفان والصوفية.

وقيل الحب هو صفاء المودّة، لان العرب تقول لصفاء بياض الاسنان ونضارتها حبب الاسنان.

---

١. الزمر / ٦١.
٢. الاعراف / ٣٥.
٣. الاعراف / ٤٩.

وقيل الحباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذا المحبة: غليان القلب وفورته عند العطش، والاحتياج الى لقاء المحبوب.

والمحبّة على أوصاف، فهي عند العرفاء أوّل أودية الفناء والعقبة التي ينحدر منها عن منازل المحبوب، وهي علاقة السائرين الى الله تعالى، وتنعقد هذه العلاقة حسب تفهّم المرء لمعنى العبودية من جانب، وتعقّله لمعنى الربوبية من جانب آخر، اذن هي العلاقة بين العبد والرب.

والمحبة الهية لها مرتكز عظيم في عقيدة التوحيد، وربما اطلق على هذه المحبة بلقاء الله.

ورد عن الرسول ﷺ انه قال: «من احب لقاء الله، احب الله لقاءه، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه».

الحـــب

عن الامام الباقر عليه السلام قال لزياد: ويحك هل الدين إلاّ الحبّ، ألاترى قول الله عزّوجل: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾.

والمحبّة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد ادراك المحبة مقام الاّ وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها كالشوق والرضا والانس.

والمحبة تنأى عن الهوى والودّ والعشق؛ إنّ الهوى عبارة عن سقوط الحب في القلب في اول نشأة في قلب المحبّ لا غير، فإذا لم يشاركه امر آخر وخلص له وصفا سُمّي حبّا، فاذا ثبت سُمّي ودّا، فاذا عانق القلب والاحشاء والخواطر لم يبق فيه شيء الاّ تعلق القلب به سُمّي عشقا، فلذلك يعبّر العشق بإفراط المحبّة قوله تعالى في شأن زُليخا ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾[1].

---

١. يوسف / ٣٠.

والحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ، وانما يحصل بعد المعرفة بـذلك الشيء وادراكه بالحواس أو بالقلب، والحب الالهي لا يحصل إلا بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعـلائقها والتبتل الى الله بـالذكر والفكـر، ثـم اخـراج حب غير الله منه.

إنّ محبة العبد لله عبارة عن صفة تظهر في قلب المؤمن المطيع، شأنه في ذلك التعظيم والاكبار، وغرضه طلب الرضا، وهذا التعظيم ينمو بشكـل حبّ حـتى يصير متفانيا في طلبه، قلقا ابدا ينشد قربه ولا يسكن الى احدٍ دونه، ويعتاد ذكره ويتبرّأ مما سواه.

ولا يمكن أن تقاس محبّة العبد لله بمحبة الخلق لبعضهم البعض، لان تلك ميل الى الاحاطة بالمحبوب وإدراكه، وهذا حكم صفته الاجسام، ومحبّو الحق تعالى مستهلكون في قربه لاهمّ لهم إلاّ رضاه سبحانه.

وهذا يقودنا الى كون الحبّ الالهي ليس دعوى يـلفظها اللسـان ويـتصوّرها الخيال، بل للحبّ آيات وشهود وشروط، وأهل المحبّة على ثلاثة أحوال:

الحالة الاولى: محبّة العامة، وهو يتولّد من إحسان الله سبحانه اليهم وعـطفه عليهم. وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «جُبلت القلوب على حبّ مـن أحسـن اليـها ويبغض من أساء اليها».

وشرط هذا الحب: هو صفاء الودّ مع دوام الذكر، لأنّ من أحبّ شيئاً أكثر ذكره.

سُئل الامام الحسن عليه السلام عن المحبّة فقال: بذل المجهود، والحبيب يفعل ما يشاء.

الحالة الثانية: وهي أعلى من الأولى، وهي تتولّد من نظر القلب الى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته، وهو حبّ الصادقين.

الحالة الثالثة: المحبة الصافية التي لا كدورة فيها، وهذه شرطها سقوط المحبّة عن القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبّة إلا لله، وتكون الاشياء بالله ولله.

منزلة اللسان من الجسد

روى سعيد بن جبير مرفوعا:

«اذا أصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلّها تشكو اللسان، تقول: أي ابن آدم، اتق الله فينا؛ فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوجَجت اعوججنا».

وقد قال النبي ﷺ: « من حُسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه».

اذن، صون اللسان انّما يكون بعدة امور منها:

١ ـ ترك فيما لا يعني شيئا لقائله.

٢ ـ ترك الفضول من الكلام أي الزائد منه. جاء في المأثور: «مَن كثر كلامه كثر سقطه».

٤ ـ ترك الخوض في الباطل، كمجالس الفسّاق، وحديث النساء، ومجالس الخمر، وقد اشار سبحانه وتعالى الى كل ذلك بقوله محكياً عن لسان أهل النار: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾[1].

٥ ـ ترك المراء والجدل.

قال ﷺ: «دع المراء وإن كنت محقّاً».

ولا يسعنا التفصيل في مساويء الجدل في هذا المورد إلّا أنّه لا يخفى على ذوي العقول أنّه يورث الضغائن والحقد والبغضاء ويبعّد الصديق، ويفرّق بين المحبّ والحبيب، والمراء كذلك...

آفة اللسان وفضل الصمت

تؤكّد النصوص الشريفة على ترك الفضول من الكلام، وتحثّ على الصمت.

---

١. المدثر / ٤٥.

سأل عُقبة بن عامر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما النجاة؟

قال: «أملِك عليك لسانك، وابكِ على خطيئتك، وليسعك بيتُك».

أي تقيّد بالكلام النافع، والزم لسانك، واحذر من الفلتات والاّ سيكون عاقبته الحاق الضرر بك».

وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ إنّه قال: «من يتوكّل لي بما بين لحيَيه ورجليه أتوكّل له بالجنة».

وقال ابن مسعود سمعت رسول الله يقول: «أكثر خطايا ابن آدم من لسانه».

٦ ـ ترك المزاح:

لانه يورث الخفّة وزيادته نقصان في العقل والمروءة، كما ورد في الخبر (ما مزح المرء مزحة إلا ومجّ من عقله مجّة).

٧ ـ ترك الكلام البذيء والفحش منه:

قال ﷺ: «ايّاكم والفحش فانّ الله لا يحبّ الفحش».

وقال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعّان ولا باللعان، ولا بالسّباب، ولاالبذيء».

ومن صفات المتقين

العفو عمن ظلمهم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ﴾[1].

جاءت هذه الآية الكريمة تعليل لما سبق من قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[2].

---

١. الاعراف / ٢١٠.

٢. الاعراف / ١٩٩.

إنّ شأن المتّقين دائما في تفكّر وتذكّر، فلا يغفلون عن امر الآخرة والحساب، فهم على يقين أنّ الله هو ربّهم الذي يملكهم ويربّيهم، يرجع اليه أمرهم، وهو سبحانه الذي يكفيهم مؤنتهم، ويدفع عنهم كيد الشيطان وجنوده ومكر الناس وأذاهم لذا رفع عن المتقين حجاب الغفلة فاذا هم مبصرون.

اذاً طريق ردع النفس عن ارتكاب الذنب هو التذكّر اوّلاً، وهذا الطريق خير رادع، ثم العفو وهو يقع في المرحلة الثانية. ومن مستلزمات العفو هو الايمان بالله سبحانه، وتذكّره في كل حال، والتقوى التي تردّ صاحبها إذا هَمَّ بالذنب، أو اذا غضب، وربما ادّى الغضب الى سوق الفرد إلى الانتقام. من هنا امر سبحانه بالعفو، أي المداراة التي تمنع العداوة وتجلب المحبّة والأُلفة.

فما هو المطلوب منّا؟

لكي نتجاوز حالة العدوان المتمثّلة بالقوة الغضبيّة علينا أن نعفو عن الآخرين إذا أساؤوا إلينا، وهذا يستلزم حُسن الخلق، قال تعالى مخاطبا نبيّه الاكرم ﷺ: **﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾**[1].

ثم قال تعالى مخاطبا نبيّه ﷺ: **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾**[2].

اذاً الخُلُق الحسن هو صفة خاتم الانبياء وسيدالمرسلين من الاوّلين والآخرين، وهو أفضل أعمال الصدّيقين، وهو شطر الدين، وهو ثمرة مجاهدة المتّقين، ورياضة المتعبّدين قال ﷺ: (ثلاثٌ مَن لم تكن فيه، أو واحدة منهنّ فلا يُعتدُّ بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن محارم الله، وحِلمٌ يكفّ به السفيه،

---

١. آل عمران / ١٥٩.

٢. القلم / ٤.

وخلق يعيش به في الناس)[١].

سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخُلُق فتلا قوله عزّوجلّ: (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين). ثم قال رسول الله ﷺ: «وهو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك[٢]».

وقال ﷺ: «اثقل ما يوضع في الميزان تقوى الله والخلق الحسن[٣]».

«وقال رجل: يا رسول الله أوصني. فقال ﷺ: اتّق الله حيث كنت. قال: زدني. قال ﷺ: اتبع السيئة الحسنة تمحها. قال: زدني. قال ﷺ: خالق الناس بخلق حسن[٤]».

هذه بعض اقوال الرسول ﷺ في حسن الخلق وثماره الطيّبة وعلى نقيضه الخلق السّيء وأنّ آثاره وخيمة جدا. قيل لرسول الله ﷺ: إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئّة الخُلق تؤذي جيرانها بلسانها. فقال ﷺ: لا خير فيها، هي من أهل النار[٥].

ومما يناسب هذا المقام أن يلتفت أهل الايمان ومن يقتدي بسنّة النبيّ الاكرم ﷺ وأهل بيته الاطهار إلى تلك المواعظ الجليلة والوصايا النافعة، لان الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام يجب أن يجسّد قولاً وعملاً ويقينا ثابتا.

روى الشيخ الكليني بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: قال: قال لي: يا جابر أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا اِلاّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر اِلاّ بالتواضع، والتخشّع، والأمانة، وكثرة

---

١. اخرجه الطبراني في معجمه الكبير والخرائطي في المكارم عن أم سلمة. انظر المحجة البيضاء: ٥ / ٩٢.

٢. الدر المنثور: ٣ / ١٥٤.

٣. اخرجه الترمذي: ٨ / ١٦٨ من حديث ابي الدرداء.

٤. اخرجه الدارمي: ٢ / ٣٢٣ من حديث أبي ذر، واحمد في المسند: ٥ / ٢٢٨.

٥. اخرجه البزار كما في مجمع الزوائد: ٨ / ١٦٩ والبحار: ٧١ / ٣٩٤.

ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرّ بالولدين، والتعهّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الاشياء.

قال جابر: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة.

فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسن الرجل أن يقول: أُحبّ عليا وأتولاّه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً، فلو قال: إنّي احبّ رسول الله ﷺ فرسول الله خيرٌ من علي ثم لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته مانفعه حبّه ايّاه شيئا، فاتقوا الله واعملوا ما عندالله، ليس بين الله وبين أحد قرابة. أحبّ العباد الى الله واكرمهم عليه تعالى أتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر: والله ما يتقرّب الى الله تعالى إلاّ بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لاحد من حجّة، من كان لله مطيعا فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدوٌّ، وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع[١].

بعد هذه المقدمة في حسن الخلق نعرّج على تعريف العفو: قيل هو أن تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه مِن قِصاص أو غرامة.

وقيل هو ضد الانتقام، وهو اسقاط ما يستحقه من قصاص أو غرامة[٢].

اذن، اسقاط الحق هو عفو، وهذا شرطه عند المقدرة.

والشرط الآخر: أن تصفح فلا عتاب ولا تقريع. لان التقريع كما روي عن أميرالمؤمنين ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾[٣].

قال: «العفو من غير عتاب»[٤] وجاء عن الامام الصادق ﷺ: «عفواً من غير

---

١. الكافي: ٢ / ٧٤.

٢. جامع السعادات ١ / ٣٠١ والمحجة البيضاء: ٥ /٣١٨، باب العفو.

٣. الحجر / ٨٥.

٤. امالي الصدوق: ٤٥.

عقوبةٍ ولا تعنيفٍ ولا عَتب»[1].

ومما يزين المرء جمالاً ومنزلة عندالله سبحانه: أن تُحسن لمن أساء إليك وهي درجة فوق العفو، فهو لا يكتفي بترك العقاب والعتاب والتقريع، بل يقابل إساءة الآخرين وظلمهم له بالدعاء لهم والاستغفار وصنيع المعروف.

روي أن رجلاً قدم على الامام زين العابدين عليه السلام فقال: إنّ فلانا وقع فيك وآذاك. فقال له الامام عليه السلام: فانطلق بنا اليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصرُ لنفسه، فلمّا أتاه قال له: «يا هذا، إن كان ما قلته فيّ حقا فالله تعالى يغفرُ لي، وإن كان ما قُلته فيّ باطلاً فالله تعالى يغفرلك»[2].

ويؤكّد هذا الجانب من العفو قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[3].

ولا يخفى على المؤمن اللبيب انما العفو مادون الحد الشرعي. فالقاتل والسارق يستلزم حدّهما حتى لا تعطّل الحدود، ولا يتهاون فيها الناس، ولا يكون ثلما في الدين، أو وهنا في سلطان الاسلام. جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «تجاوزوا عن الذنب مالم يكن حدّا»[4].

اذن العفو ـ انّما يصدق ـ عن الذنوب التي لم تشملها الحدود واحكام القصاص، فهي السيئات التي تخصّنا، كأن يُسيء إلينا احدٌ بكلمة نابيّة أو فعل مشين فانّ عفونا عن تلك الإساءات لا تترك في الدين ثلمة، ولا تخلّف في سلطان الاسلام وهيمنته وهناً أو ضعفا.

ثم يجوز العفو اذا كان الامر حقاً خاصاً بالمَعْنِيّ لا بالآخرين، فالإنسان ليس

---

١. البحار: ٧٨ / ٣٥٧.

٢. كشف الغمة للاربلي: ١٩٨ ونورالابصار للشبلنجي: ١٢٦.

٣. البقرة / ٢٣٧.

٤. تنبيه الخواطر لورّام: ٣٦٠.

مخوّلاً أن يعفو عن سلطان جائر ظالم للناس، متجاهرا بالفسق والفساد، ولا من حقّه أن يصفح لمن يُسيء لاهل الكرامة والعزّة، بل كل انسان أبصر بحاله وهو مسؤول عن ذنبه، امّا الآخرون فكلٌ واحد يتحمّل وزره حيث قال سبحانه: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[٢] يتّضح أنّ كلّ فرد مسؤول عن احواله وافعاله، ويتحتّم العفو في موارد دون اخرى، فاذا علمت أنّ من جرّاء العفو تحصل مفسدة فالعفو هنا غير جائز، كأن تُغري المسيء في تكرار إساءته، وتشوّق المذنب والعاصي على ارتكاب الافضع والاكبر من الذنوب.

جاء في رسالة الحقوق للامام زين العابدين ﷺ: «وحقّ من ساءَكَ أن تعفو عنه، وإن عَلِمتَ أن العفو يضرُّ انتصرتَ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِن سَبِيلٍ ﴾[٣].

وخير مثال في هذا الباب قصة ابي غرّة الشاعر، حضر مع قريش يوم بدر يحرِّض قريشاً بشعره على القتال فأُسِرَ في السبعين الذين أُسروا، فلمّا وقع الفداء على القوم، قال أبوغرّة: يا ابا القاسم، تعلم أني رجل فقير فامنُن على بناتي.

فقال ﷺ: أُطلقُكَ بغير فداء ألا تُكثر علينا بعدها.

قال: لا والله فعاهده على أن لا يعود، فلمّا كان حربُ أُحد دعته قريش الى الخروج معها ليُحرّضَ الناس بشعره على القتال، فقال: إنّي عاهدت محمّدا أن لااكثر عليه بعد ما مَنّ علي.

قالوا: ليس هذا من ذلك، إنّ محمّداً لا يسلم منّا في هذه الدفعة، فغلبوه على

---

١. الانعام / ١٦٤.

٢. الغاشية / ٢٢.

٣. الشورى / ٤١.

رأيه، فلم يُؤسَر يوم أُحد من قريش غيره. فقال رسول الله ﷺ: ألم تُعاهدني؟

قال ابو غرّة: إنهم غلبوني على رأي، فامنن على بناتي.

قال: لا، تمشي بمكّة، وتحرّك كتفيك وتقول: سخرتُ من محمّد مرّتين، المؤمن لا يُلسع مِن جُحر مرّتين، ياعليّ: اضرب عنقه[1].

١. بحارالانوار: ٢٠ / ٧٩.



الفصل الرابع

من خطبة له عليه السلام

يصف فيها المنافقين

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

يصف فيها المنافقين*

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَ نَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ. وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ. وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَها، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَ يَدِبُّونَ الضَّرَاءَ، وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ. حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ. يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ: إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا

---

*. خطبة رقم ١٩٤ في [illegible]

أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً، وَلِكُلِّ حَيٍ قَاتِلاً، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاَقَهُمْ. يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ النِّيرَانِ: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.

مصادر الخطبة

* الطراز المتضمّن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي ٢ / ٣٠٨
* غرر الحكم للآمدي / ٥٤
* نهج البلاغه للشريف الرضي رقم ١٩٤
* شرح نهج ابن ابي الحديد

معاني المفردات

ذاد: طرد والمصدر الذّياد، وذاد عنه، حمى عنه.

الغمرة: الشدّة. والغمرة من كلّ شيء: معظمه، وخاض كل غمرة: ارتكب كل مهلكة وتقحّم كل هول، والغمرة ما ازدحم وكثر من الماء، وكذلك توصف الجماعة من الناس.

الغصّة: الشجا وجمعها غصص.

تلون: تقلّب. الادنون: الاقربون

تألّب: اجتمع على عداوته. الاقصون: الأبعدون

خلعت العرب أعنّتها: اعنتها جمع عنان وهو حبل اللجام، اي خرجت عن

طاعته فلم تنقد له بزمام، والعبارة كناية عن سرعة القوم ـقريش ـ الى حربه.

الرواحل: جمع راحلة، وهي الناقة. ضربت لمحاربته بطون رواحلها: ساقوا ركائبهم اسراعا لمحاربته.

أسحق المزار: اقصى مكان وابعده.

الضالّون المضلّون: الذين يضلّون انفسهم ويضلّون غيرهم.

الزالّون المزلّون: كذلك الذين يضلّون انفسهم ويضلّون غيرهم؛ زلّ فلان عن الامر: أخطأ.

يفتّنون: يتشعّبون فنونا، أي يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهبا واحدا.

يعمدونكم: يهدّونكم، يقال عمده المريض إذا هدّه ومنه قولهم للعاشق: عميد القلب. والعماد: الامر الفادح.

يرصدونكم: يعدّون المكايد لكم.

قلب دَوٍ: أي فاسد، وفساده من داءٍ أصابه.

الصّفاح: جمع صفحة الوجه، يقول ﷺ: باطنهم سقيم عليل وظاهرهم صحيح.

يمشون الخفاء: أي في الخفاء والتستر.

الداء العياء: الداء الذي أعيى الاطباء ولا يمكن منه الشفاء.

حسدة الرخاء: جمع حاسد، أي يحسدون على السعة وإذا نزل بلاء بأحد أكّدوه وزادوه، واذا رجى أحد شيئا أو قعوه في القنوط واليأس.

الصريع: المطروح على الارض، أي أنهم كثيرا ما خدعوا أشخاصا حتى أوقعوهم في الهلكة.

الشجو: الحزن، أي يبكون تصنّعا متى أرادوا.

يتقارضون كل واحد منهم: يثني على الآخر ليثني الآخر عليه.

الالحاف: الاستقصاء في السؤال، أي بالغوا وألحوا.

وإن عَذَلو: أي لاموا.

كشفوا: أي فضحوا من يلومونه.

الاعلاق: جمع علق؛ الشيء النفيس، السلعة الثمينة.

يقولون فيشبّهون: يشبّهون الحق بالباطل.

التمويه: التزيين والتلبيس؛ يهوّنون على الناس طرق السير معهم على اهوائهم الفاسدة.

اللّمة: الجماعة من الثلاثة الى العشرة.

الحمّة: الابرة تلسع بها العقرب ونحوها. حمّة النيران: لهيب النيران ومعظم حرِّها. وبالتخفيف: سمّ العقرب.

الاوجه البلاغية في النص

*** (خاض الى رضوان الله كل غمرة)**

استعار لفظ الغمرة لمعظم الشرور والمكاره المتكافئة المجتمعة حين بعثته ﷺ، شبّه ما للشرور من اتساع وطغيان بغمرة الماء، ثم رشح بذلك الخوض، وكنّى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة وملاقاته للنوائب من المشركين في بدء الدعوة.

*** (خلعت العرب اعنتها... ضربت لمحاربته بطون رواحلها...)**

كنّى بهما عن المسارعة الى حربه، لان اقوى واسرع الحيوانات جريا هي الخيل إذا خلعت اعنتها. واقوى عدْوا: الرواحل اذا ضربت بطونها. وهنا ايماء الى أن هؤلاء جاءوا لمحاربته فرسانا وركبانا حتى انزلت بساحتها عداوتها أي حروبها وشرورها التي هي ثمرة العداوة.

* (حتى انزلت بساحته عداوتها)

اطلق لفظ العداوة على الحرب مجازا، اطلاق اسم السبب على المسبب. والعداوة سبب الحرب

* (وقد تلوّن له الادنون)

كنّى بتلوّنهم عن تغيراتهم في القول والفعل بحسب اغراضهم الفاسدة، فيلقون كلا بوجه ولسان غير الآخر، ثمّ ترصّدهم بكل حيلة في هلاك المسلمين.

والادنون: هم اقرباوه من قريش. والمعني من التلوّن: هو تغيّر قلوبهم.

* (وتجرّع فيه كل غصّة)

كنّى بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقاة تلك المكاره.

* (وتألّبَ عليه الافصون)

اجتماع الاباعد عنه من العرب وانضمامهم من أقصى البلاد الى حربه. والعبارة فيها كناية عن الحرب

* (يمشون الخفاء... يدبّون الضراء)

كناية عن كون حركاتهم القوليه والفعليه فيما يريدونه في خفاء افهام الناس.

* (لهم بكل طريق صريع)

كناية عن كثرة من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم ومكرهم، وكنّى بالطريق عن كل حيلة احتالوها ومكر مكروه.

*** (لهم لكل شجو دموع)**

كناية عن توجعهم لكل شجو وتوصّلهم بذلك الى اغراضهم، وإن كانوا لاهل الشجو اعداءً.

*** (ولكل ليل مصباحا)**

لفظ الليل مستعار لما اشكل من الامور، وكذلك لفظ المصباح للرأي الذي يدخلونه به ويهتدون الى وجهه، كفعل ورأي عمروبن العاص، في رفع المصاحف ليلة الهرير، ودعوتهم أهل العراق أن يحاكموهم الى كتاب الله.

*** (ليقيموا به أسواقهم)**

استعار لفظ الاسواق لاحوالهم في معاملة الخلق من اخذ وعطاء فان فعلهم ذلك يقيمها بين الناس ويروّجها عليهم.

ولفظ الأعلاق مستعار لما يزعمون أنه نفيس من آرائهم وحركاتهم الخارجة عن أوامر الله.

*** (واضلعوا الطريق و...)**

كنّى بمضائقها عن دقائق المداخل في الامور، وبتعويجها عن أنّهم إذا ارادوا الدخول في أمر.

*** (حمّة النيران)**

مستعار لعظم شرورهم. ووجه المشابهة: استلزامها للأذى البالغ.

شرح الخطبة

فتح كلامه عليه السّلام بالحمد باعتبارين؛ الاول هو التوفيق لطاعته المؤدي الى الفوز، والثاني الطرد عن المعصية، لان ارتكاب الذنب والأثام والاصرار عليها تؤدي إلى الخسران والهلاك.

ثم سأل سبحانه أمرين؛ هما تمام الشكر والاعتصام بحبله المتين. بعد هذا اردف كلامه ﷺ بالشهادة وشرح حال المرسَل ﷺ في أداء الرسالة الغرّاء ثم بيّن تظافر الاقرباء (الادنيين) والا باعد (الاقصين) على حربه وعداوته.

أمّا اذيّتهم للرسول ﷺ فهي كثيرة حتى قال ﷺ (ما أُوذي نبي بمثل ما أُذيت) فمن أذاهم: استهزاء قريش به ورميه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، وصياح الصبيان به، وفرث الكرش على رأسه الشريف، وضرب الحصار عليه وعلى أهل بيته ومن ناصره في شعب أبي طالب، ثمّ حرّموا عليهم البيع والشراء والمناكح معه ومع بني هاشم، وتعذيبهم لاصحابه بشتى أنواع التعذيب. ثمّ أجمعوا على قتله والفتك به حتّى هاجر من مكّة.

قال ﷺ:

(قلوبهم دويّة وصفاحهم نقيّة)

أي اشتملت نفوسهم على الداء النفساني من الحسد والحقد والمكر والخديعة واعمال الحيلة، مع اظهار البشاشة والصداقه والمحبّة والنصيحة لهم.

وهذا هو الظابط في النفاق، اظهار ما ليس في القلب.

(يمشون الخفاء... يدبّون الضراء)

مثلان لمن يختل غيره ويخدعه، وكناية عن حركاتهم القوليه والفعلية فيما يريدونه في خفاء أفهام الناس.

(وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء).

أي أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين من الموعظة والامر بالتقوى وطاعة الله.

امّا أفعالهم أفعال الفاسقين الضالّين.

العياء: الذي يعجز الطبيب في علاجه.

(حسدة الرخاء):

أي إنْ رأوا الامر رخاء حسدوه، ومؤكّدوا البلاء: أي إن رأوا به بلاء اكّدوه بالسعاية والتأليب عليه.

(لهم بكل طريق صريع):

كناية عن كثرة من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم ومكرهم. وكنّى بالطريق عن كل حيلة احتالوها ومكر مكروه.

(الى كلّ قلب شفيع):

أي أنّ من شأن المنافق أن يتخذ الى كل قلب ذريعة ووجها غير الآخر، فيكون صديق الكل حتى المتعادين، يتوصّل بذلك إلى إثارة الفتن وايقاع الشر بينهم، وهو في نفس الامر عدو الكل.

(مقنطو الرجاء):

إنّهم يواجهوا أهل الرجاء باليأس والقنوط، فهم يستعملون خبثهم عن طريق النصح الظاهر (أنّه نصح مبطّن)، ويُفوّتوا على الراجي أمله حتى يخرجونه من ساحة الخيرالمرتقب والرحمة المرجوّة.

فهم فاسدون ومفسدون، يتفنّون في أساليب المكر والخداع، ويغرّروا بالسذّج من الناس والبسطاء فيوقعونهم في الهلكات. كما أنّهم يستميلون القلوب بالملق والتواضع الكاذب.

ومن صفاتهم: اذا وقع إنسان في مشكلة وضاق عليه المخرج لايساعدونه

على الخلاص، بل يزيدونه ضيقا على ضيق، وتعقيداً على تعقيد.

(يتعارضون الثناء ويتراقبون الجزاء):

أي يثني أحدهم على الآخر، ليثني الآخر عليه، كأنّ كلاً منهم يسلف الاخر دينا ليؤدّيه اليه، وكلّ يعمل للآخر عملاً يرتقب جزاءه عليه.

(إن سألوا ألحفوا...):

أي الحّوا في السؤال، وهو أمر مذموم. قال تعالى يصف الفقراء وتعففهم عن السؤال:

(يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفّف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا...)[1].

(وإن عذلوا كشفوا...)

إذا عاتبوا أحداً كشفوا عيوبه، وربما ذكروا عيوبه بمحضر من لا يأمن شرّه أو لم يكن صالحا في ذلك المحضر.

أي أنهم ليسوا من أهل النصح ولا من اهل الرشاد، لأنّ الناصح إذا أراد أن يعرّض بالذنب فلا بدّ أن يكون عتابه خفيفا وتعريضه لطيفا دون التصريح والأذى.

(اذا ولّوا اسرفوا...)

إذا ولّى أحدهم ولاية أسرف في الظلم، واعدّوا لكلّ حق باطلاً، ولكل حي قاتلاً، أي سببا يميتونه به.

والحي أعم من الانسان. وهيّؤوا لكلّ باب مفتاحا من الحيل والخديعة.

---

١. البقرة / ٢٧٣.

(يقولون فيشبّهون ويصفون فيموّهون)

يوقعون بأقوالهم الشبه في القلوب ويوهّمون عليهم الباطل بصورة الحق. بمعنى آخر أنهم يقلبون الحقائق.

فهم يتوصلون الى الطمع باليأس، أي بإظهار اليأس عمّا في أيدي الناس، والزهد فيه كما يفعله كثير من زهاد العصر، ووصفهم بأخذ الشيء بضده أبلغ ما يكون في وصف النفاق والحيلة.

(قد هوّنوا الطريق)

أي قد عرفوا كيف يسلكون في مقاصدهم من الاراء والحيل. وأضلعوا الطريق: عوّجوا مضائقها.

وهذا يعني أنّ المنافقين إذا أرادوا الدخول في أمر مضيق أظهروا أنّهم يريدون غيره؛ تعمية على الغير وتلبيسا أن يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم.

سمّي النفاق نفاقاً من النّافقاء وهي بيت اليربوع، له بابان يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر، وكذلك الذي يُظهر دينا ويبطن غيره.

ظاهرة النفاق متى و كيف بدأت؟

١ ـ برزت هذه الظاهرة في المدينة وبعد ما قويت شوكت المسلمين

٢ ـ نزول سورة «المنافقون» مدنيّة و آياتها ١١ آية

قال تعال:

﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ... ﴾

﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾
﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ولا يخفى عليك أن المنافق قد تجسّدت في نفسه ذنوب مركّبة.

فالذنوب أقسام:

منها: ذنب بحق الله الخالق.

ومنها ذنب بحق الانسان نفسه.

ومنها ذنب بحق الآخرين من الناس أو المخلوقات.

ومن الذنوب ما يجمع هذه الثلاث وهو يتمثّل بالمنافق حيث يعصي الله ويذنب تجرّيا واستكبارا، ويذنب بحق نفسه فيوردها المهالك؛ إنّه يقترف المعاصي من أجل هذا العرض الزائل من زينة الدنيا، ويذنب بحق الناس والمخلوقات.

والنفاق لا يتصوّر إلا في المجتمع امّا في عزلة من الناس فلا يتصوّر.

إذاً النفاق داء اجتماعي قديم وجد مع المجتمعات التي تضم القوي والضعيف، ويتطوّر بنمو المجتمع، وتكثر الوانه واقسامه واتباعه كلّما حصل التعقيد في المجتمع، والنفاق من امّهات الرذائل الاجتماعية، إنّه مزيج من الخيانة والغدر والكذب والمكر والضلال والفساد والظلم والاستبداد.

ظاهرة النفاق كما عرفت ـ برزت في المدينة بشكل واضح وقد حذّر القرآن الكريم من هذه الظاهرة الخبيثة أشدّ الحذر، واكّد للمؤمنين ما لهذه الظاهرة من

---

١. المنافقون / ١ و ٤ و٨.

فساد وخطربالغ، لهذا جاء ذكر المنافقين في سورٍ عديدةٍ، منها: في سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والانفال، والتوبة، والحج، والنور، والعنكبوت، والاحزاب، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنافقون، والتحريم.. ولانبالغ اذا قلنا إنّ الآيات التي صرّحت بسلوك المنافقين وصفاتهم قد ناهزت على المائتين آية وثلاثة عشرة آية.

ما ورد في ذم المنافقين

لقد ذم الله المنافقين بقوله ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ وَلاَ إِلَىٰ هَٰؤُلاَءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٣].

وهناك آيات كثيرة تربو على المائتين سنأتي على ذكر بعضها في بحثنا هذا إن شاء الله.

اصناف الناس:

هُم ثلاث: إمّا سعداء؛ وهم اصحاب اليمين، وهؤلاء يمكن تقسيمهم الى:

الف ـ أهل الفضل والثواب.

---

١. النساء / ١٤٣.

٢. النساء / ١٣٧ـ ١٣٩.

٣. النساء / ١٤٥.

ب ـ أهل الرحمة.

ج ـ من شملهم العفو والمعذبون احيانا

وإمّا اشقياء؛ وهم أصحاب الشمال (المطرودون من رحمة الله سبحانه) والذين حقّ عليهم القول، فهم كالانعام: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ ٱلْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَيَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَيُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَيَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ ﴾[1].

واصحاب الشمال هؤلاء قد جاء التفصيل في شأنهم ومصيرهم في سورة الواقعة، الآيات: ٤١ ـ ٧٢ و ٩٢ ـ ٩٤.

وإمّا سابقون؛ وهم المقرّبون وهؤلاء على قسمين:

الف ـ محبّون؛ جاهدوا في الله حق جهاده.

ب ـ محبوبون؛ أهل العناية الازلية، فهم العرفاء بالله وباليوم الآخر.

أمّا المنافقون فهم من القسم الثاني (الاشقياء) وإن خفي أمرهم على الناس، لكن على الله لم يخفَ منهم شيء. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

إنهم كانوا مستعدّين بحسب الفطرة، قابلين للنور في الأصل والنشأة، ولكن احتجبت قلوبهم بالرّين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي، ومباشرة الاعمال البهيميّة والسّبعيّة، ومزاولة المكائد الشيطانية، حتى رسخت الهيئات المظلمة في نفوسهم، وارتكست افئدتهم، فبقوا حيارى تائهين، وقد حبطت أعمالهم فهم اسوأ حالا من الكفار.

---

١. الاعراف / ١٧٩.

٢. البقرة / ٨.

قال تعالى يصف حال اولئك: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

ويمكن تفصيل الآية السابقه بالشكل الآتي: (ومِنَ الناس...) مَنْ اولئك ؟

إنّهم: (المنافقون).

ماذا يقول هذا الفريق من الناس...؟

(... مَنْ يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر)

إنّه ادّعاء من قبلهم، وهذا ادّعاء كاذب، حيث اكّدت الآية الشريفة زيغ ذلك المدّعي؛ قال تعالى:

(وما هم بمؤمنين)، إنها نتيجة صريحة.

إنّ المنافقين اثبتوا الصلاح والاصلاح لانفسهم، اذ الدنيا لانفسهم في تنظيم اساب المعيشة وتيسير أمور الدنيا لانفسهم خاصة، وإن كان مؤدّيا الى خسران العاقبة لتوغّلهم في حبّ الدنيا ونيل الجاه والثروة، وانهماكهم في اللذات والراحات البدنية.

إنّ المنافقين أعظم جرما، حيث ذكرهم سبحانه في سورة البقرة في ثلاثة عشر آية من آية ٨ الى آية ٢٠، بينما ذكر المؤمنين في اربع آيات، والكافرين في آيتين. وهذا يدّلل على خطر المنافقين الكبير وأثرهم السيء في الامّة.

مكانة المنافق

لقد ساوى القرآن الكريم بين الكافر والمنافق -في الجزاء- فجعل مثواهما واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾[2].

---

١. النساء / ١٤٥.

٢. النساء / ١٤٠.

من هنا جاء الامر الالهي للنّبي أن يجهاد كلا الفريقين قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

كما حذّر سبحانه رسوله ﷺ من أن يصلّي على أحد منهم، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبَداً وَلاَتَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2].

بل وحتى الاستغفار من قبل الرسول لهم لم يكن منجيهم، قال تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَٱللهُ لاَيَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[3].

فلا عجب ان تغلّق ابواب المغفره بوجه هذه الثلّة من الناس، لانهم اصرّوا على الكذب من جانب؛ فما يظهرونه خلاف ما يبطنونه، ومن جانب آخر اصرّوا على أن يكيدوا المسلمين ويلحقوا الضرر بصاحب الرساله بشتى الوسائل وفي كل آنٍ أتيحت لهم الفرصة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ ٱللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[4].

الايمان لم يستقر في قلوبهم، وأنّ عقيدتهم متزلزلة مضطربة تنأى عن الحقّ، فلا ثبات لهم؛ لا في القول ولا في العمل، فهم دائما يستجيبون لنداء الشيطان الكامن في نفوسهم والمستحكم في دمائهم، فلاترى منهم أي عمل صالح يرمّم صدع الشعب أو يسدّ ثغرا من الثغور، فليس لهم نخوة انسانية، ولا يرجى منهم خيراً أو برّا حتى لو قلّ، فهم مذبذبون بين الايمان والكفر،، لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء.

---

١. التوبة / ٧٣.

٢. التوبة / ٨٤.

٣. التوبة / ٨٠.

٤. النساء / ١٣٨.

ومما يؤكّد ضلالتهم وبعدهم عن الايمان وعدم شمولهم للرحمة الإلهية أنّهم ينفرون ـبكل احاسيسهم ومشاعرهم ـ من التوبه ويرفضون الهداية، بينما الرسول ﷺ كان يأمل فيهم التوبة ورجوعهم الى الصواب، ولكن من دون جدوى.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

كيف تصدر منهم التوبة وقلوبهم غارقة في بحر العصيان لا يهمّهم سوى ملذّات الحياة والشهوات التي اركستهم في الحظيظ!

قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾[2].

إنّهم اختاروا الضلال بمحض ارادتهم... فلا نجاة طالما عاشوا الى أن ماتوا وهم على تلك الحالة.

ولا يخفاك أن المنافقين يتواجدون في كلّ زمان، بل وفي كلّ مكان، فهي شريحة مبثوثة بين طبقات المجمتع، ولا تخلو فئة أو طبقة منهم.

فهم يتواجدون بين العلماء، وبين الساسة، وبين التجّار، وبين الكسبة، وبين العمال، وبين الطلاب، وبين الصغار من الناس، وبين الكبار، وبين الرجال، وبين النساء. ويشتد خطرهم بين رجال الدين والساسة ومن له نفوذ بين الناس.

إنّ فئة المنافقين تشكل خطرا جسيما على حياة الامّة الاسلامية، لانهم حلقة وصل خفيّة بين الكفار الملحدين والمسلمين، فهم يظهرون الايمان ليتقرّبوا الى المسلمين ويبطنون الكفر والعداء في الوقت نفسه.

من هنا تراهم يصطنعون كل اساليب التجسّس للايقاع بالمسلمين ويستخدمون

---

١. المنافقون / ٥.

٢. النساء / ٨٨.

اشخاصا لهم القدرة على البحث والجدل والكلام، أو من له قوّة في الحجاج والبيان، فقد استقطبوا افراداً من قادة الفكر ومن رجال الجامعات والادب ومن ذوي المواهب والفِطن حتى بثّوا تلك الافراد في الاندية والتكتلات الاجتماعية باسمٍ يناسب تلك المؤسسات وما الهدف إلاّ استقصاءً لاخبارهم لتنقل الى اسيادهم الكفرة، ومن تلك المحاور ترى أساليب الهجوم المتعددة الاشكال والالوان من دول الكفر والضلال إنّها اساليب تُعد وتجهّز للإطاحة بدولة الايمان؛ دولة الرسولﷺ واصحابه الاطهار، وهكذا شأن المنافقين في كل عصر.

هل يوجد فرق بين طبيعة الانسان وبين تطبّعه؟

الكذب رأس مال المنافقين، أنّه حالة مرضيه يجلبها الانسان الى نفسه فينطبع بها والتطبع صفه قابلة للزوال لكن إذا تمادى الشخص في الغي والضلال (الكذب) يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين ويصبح الذنب والإثم جزءً من طبيعته، والمنافقون باصرارهم على انحرافهم يتطبّعون بخط النفاق.

وتتراءى لهم أعمالهم بالتدريج وكأنها أعمال إصلاحية، أضف الى ذلك إنّ المعايير والموازين عند المنافقين منقلبة ولكي يطّلع القارىء على بعض خصوصياتهم نذكر جملة من ارائهم:

* الاعتداد بالنفس، واعتقادهم أنهم ذوو عقل وتدبير، وإنّ المؤمنين سفهاء.
* يعتقدون إنّ الانصياع للحق سفاهة.
* ويعتقدون إنّ في إتباع الدعوة الالهية حماقة.
* الازدواجية في الشخصية والتلوّن في كل حال.
* التذبذب هو الطريق الناجح للفوز بالمكاسب الدنيوية.
* التقلّب مع الظروف سعيا وراء الاهداف الشخصيّة.

صفات المنافق

اشار القرآن الكريم الى الكثير من صفات المنافقين، واساليبهم الماكرة ونحن نشير الى بعضها تاركين التفصيل الى مناسبة اخرى إن شاء الله.

١ ـ صفة الاضطراب في العقيدة والحيرة من امرهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا..... ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[١].

المنافق يمرّ بثلاث مراحل من الكفر، ويتخلّل هذه المراحل الثلاث إيمان مبطّن مزّيف، لذا فهم في تردّد، لا ايمان لهم بل هم مذبذبون، وأنّ قلوبهم طُبعت على المكر والخديعة والفساد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[٢].

المنافق له استعداد كامل أن ينقلب ويغيّر ويسالم، فهو يتلّون مع تبدّل الظروف والمناسبات والمصالح، ولا يشعر بالحرج فيما يؤدّيه.

متى يظهر المنافق انتسابه الى الحق؟

يظهر المنافق الايمان متى ما خاف الخسران المادي أو الاذى الجدي، أو نقصان في الجاه والسلطان، وبمعنى آخر أنّ القاعدة التي يكمن وراءه المنافق هي قاعدة الربح والخسارة بكل ابعادها. قال تعالى يصفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ ٱللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

---

١. النساء / ١٣٨.

٢. التوبة / ٤٥.

٣. النساء / ١٤١.

اذن: الكسب المادي، والخوف من الاذى، والهروب من شدائد العمل الجهادي؛ أي الخوف من القتل، أو من الجراح، أو من المصائب، أو من المشقّة في العمل... كل هذا يدفع بالمنافق أن يختار المداهنة والمكر حتّى يتمتّع بما يأمل من السلامة والنفع الدنيوي.

قال تعالى يصفهم ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً** ﴾[1].

٢ ـ يمشون عكس التيّار.

دائما ترى المنافق يزيّن لك الباطل وينفّرك من الحق، فهو يأمرك بالباطل، وينهاك عن المعروف قال تعالى:

﴿ **ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ** ﴾[2].

٣ ـ قلوبهم مع زعماء الكفر وبهم اعتزازهم.

إنّ الظاهر لا قيمة له، وانّما نوايا الإنسان التي تكمن في القلب هي الملاك، والمنافق ميّالاً حسب ذاته الى أهل الكفر، ويبتغي العزّة والمنعة عندهم، قال تعالى يصفهم:

﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً** ﴾[3].

وكان زعيم النفاق يومئذ عبدالله بن أبي بن سلول هو الذي القى اللّوم على

---

١. النساء / ٦٢.

٢. التوبة / ٦٧.

٣. النساء / ١٣٩.

اصحابه وخاطبهم إنه إن رجع الى المدينة[1] سوف يُخرج النبي والمسلمين منها وعبارته (ليخرجن الاعزّ منّا الاذل) وفي هذا نزل القرآن الكريم يكشف سرائر هذا المنافق واصحابه:

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

فكان يعني بالاعزّ نفسه ـ الخبيثة ـ وبالاذل: رسول الله ﷺ. فالمعيار عند المنافق ـ حتى يكون عزيزاً ـ هو المال والجاه والسلطة الدنيوية، وعدا ذلك لا وزن له عند المنافق.

٤ ـ جمود القلب وانسلاخهم عن الفهم:

لمّا كان المنافق مرتكس القلب، مسلوب الرحمة، بعيدا عن التوبة كل البعد، فهذا كلّه يؤدي بالقلب الى الختم أو الطبع... (ختم الله على قلوبهم).

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾[3].

من هنا أصبح المنافق من الغباء بمكان ومن البلادة وعدم التفكير ماهو واضح جدا، فانك تجد في قاموس المنافق أنّ كل خيرٍ هو عنده شرّ، وكل قبيح وشرّ هو عنده جميل وحسن، فهو لا يوازن الامور بمقياس الشرع أو العقل بل يوازنها بمبدأ الربح والخسارة.

٥ ـ استهزائهم بالقرآن والتشكيك بما فيه: قلوب المنافقين سوداء حالكة اطبقت على الظلام فهي دائما في تشكيك واستهزاء، وقد كشف القرآن عن

---

١. كان مع اصحابه المنافقين في صفوف جيش المسلمين في غزوة بني المصطلق سنة ستة للهجرة على المريسيع ... ماء لهم.

٢. المنافقون / ٨.

٣. المنافقون / ٣.

صفتهم تلك، فقال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَاناً ﴾[١].

إنّه سؤال على وجه الانكار والسخرية، قاتلهم الله.

ثم قال تعالى: ﴿ ... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[٢].

وعلى هذه الوتيرة يهربون من الموعظة وينسلّوا من بين صفوف المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَإِذا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَفْقَهُونَ ﴾[٣].

٦ ـ يسيطر عليهم الجبن والبخل.

لا تراهم في سوح القتال، بل يتخفّون وينسلّوا من بين الصفوف نجاة بأنفسهم، فهم في ساعات المحنة والجهاد جبناء، إلّا أنهم يمتلكون في الرخاء ألسنة سليطة جرّدوها على المؤمنين. قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٤].

أمّا في البخل فقال تعالى يصفهم:

﴿ وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَايُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥].

---

١. التوبة / ١٢٤.

٢. التوبة / ١٢٥.

٣. التوبة / ١٢٧.

٤. الاحزاب / ١٩.

٥. التوبة / ٩٨.

٧ ـ المنافق تعجبه نفسه وصورته الخارجية.

يتخيل المنافق أن حسن الصورة وجمال الهيكل يكسبه موقعاً اجتماعياً ومكانة سياسية، وهو بذلك يستعلي على الآخرين، كأنما اصاب خير الدنيا كلّها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ... ﴾[١].

وهذه صفة عبدالله بن ابي بن سلول؛ أنّه كان فارع الطول، حسن الجسم، ممتليء العضلات، جميل الصورة؛ في صفاته تلك قلّ أن يشاركه فيها أحد، وكان يظن أنّ هذه السمات من مميزاتهالتي تُخضع له الناس وتهيّئه للزعامة والملك.

غير أن تلك الصفات الجسديّة لا يقيم لها العقل والشرع أي وزن، بل تصبح وبالاً على صاحبها كالجارية الكاعب الحسناء تختال بحسنها فهي ذات دلال وغنج ولكن سرعان ما يكون ذلك وبالا عليها فتقع في حبائل الجريمة...

وهذا رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول كان كذلك، وكاد يتوّج بتاج الزعامة على الاوس والخزرج، غير أنّ نفاقه قاده الى الخسران الابدي[٢].

ثم يصفه القرآن الكريم ومن كان على شاكلته من المنافقين: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾. هذه أجسادهم هي كالخشبة، وأي نوع من الخشب؟ انّها عديمة الفائدة، المسنّدة على غيرها أو على الحوائط أو الحجارة، وتظل هكذا إلى أن تلقى بها في النار.

٨ ـ شأن المنافق الكذب والخلف في الوعد.

من ابرز الصفات التي طبع عليها المنافق هو الكذب، أنّه الكذب حتى مع

---

١. المنافقون / ٤.

٢. ولا يخفى على المطالع أنّ عبدالله بن ابي بن سلول على ما عليه من صفات ونفاق كان يشتغل بالبغاء ويتاجر به ـ قوّادا ـ فقد ورد أنه عندما دخل الاسلام في المدينة كان لعبدالله بن أبّي ست جوار: معاذة ومسيلّة وأميمة وعمرة وأروى وفتيلة، كان يكرههن على البغاء، وضرب عليهنّ ضرائب، فشكت اثنتان منهنّ الى رسول الله فنزل قوله تعالى: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن اردن تحصّنا لتبتغوا عَرَض الحياة الدنيا) «النور: ٣٣».

قرينه، والخلف فيما يَعِدُ به الآخرين، وفي بيان هذه الصفة نزل قرآن مبين، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لاَ يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ.** ﴾[١].

٩ ـ التربّص لكسب النفع المادي.

المنافق دائما يتربّص بالاحوال ليغتنم فرصته الذهبية، ولا فرق بين منافقي هذا العصر والمنافقين زمن الرسول ﷺ حيث كان هؤلاء ينتظرون ما يحدث للمؤمنين من خير أو شر، فإن ظهر المؤمنون على اليهود أو الكفار قالوا للمؤمنين ألم نكن معكم فاعطونا نصيبنا من الغنائم. وإن ظهر الكفّار قالوا لهم ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم بأن ثبّطنا عنكم الهمم وأدخلنا على المسلمين ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا لنا حقّنا ممّا أصبتم.

القرآن يكشف لنا هذا البعد ويفضح المنافقين في موارد عديدة من الآيات، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيداً. وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَم تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ ٱللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ... ﴾[٣].

مع هذا التربص من المنافقين إلا أنّه لن يضرّ المؤمنين قط، قال تعالى:

---

١. الحشر / ١١ ـ ١٥.

٢. النساء / ٧٢ و٧٣.

٣. النساء / ١٤١.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[١].

١٠ ـ التثاقل في اداء الفرائض كالصلاة.

لا توجد عبادة او فريضة من الفرائض إلا وهي عند المنافق ثقيلة ممقوتة. ولمّا كانت الصلاة اليومية جزءا من العبادة انّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا، غير أن المنافق يجعلها ضريبة جسدية، يحاول جاهداً أن يتخلّص منها، ولو خلّي وطبعه لتركها. اما اذا دُعي لها فيكون في حيرة، لانّه اذا صلّى فلا عن عقيدة فيها، من هنا ترى المنافق يتثاقل في أدائها قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾[٢].

واذا ادّاها فانما يؤدّيها رياءً. وجاء عن النبي ﷺ إخبارا عن المنافقين: إن اثقل صلاة عليهم صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما حَبْوا[٣].

١١ ـ المنافق يتحاكم عند اهل الباطل.

اذا دعى الامر الى الخصومة والتحاكم فان المنافق يختار أهل الباطل ولا يلجأ الى أهل الايمان، وفي ذلك شواهد عديدة حدثت في صدر الاسلام وهي تتكرر على مرّ العصور، نشير الى بعضها تلويحا لا تفصيلاً:

١ ـ قصة المنافق المغيرة بن وائل مع أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب عليه السلام في شأن الارض التي ابتاعها المغيرة من الامام، فدعاه الامام عليه السلام أن يخاصمه الى النبي ﷺ فرفض هذا المنافق حيث قال: أما محمّد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني، وأنا اخاف أن يحيف عليّ فنزل قوله تعالى: ﴿ وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ مَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ

---

١. التوبة / ٥٢.

٢. النساء / ١٤٢.

٣. تفسير القرطبي ٥ / ٢٧٦.

مُذْعِنِينَ * أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللّٰهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[١].

٢ ـ قصة بشر المنافق مع اليهودي. فقال اليهودي لبشر بيني وبينك أبوالقاسم. وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الاشرف وكان يهوديا[٢].

٣ ـ قصة بشر بن ابيرق المنافق الذي ارتكب سرقة وفيه نزلت آيات[٣].

منهج النفاق والمنافقين

عرفت أنّ المنافقين تواجدهم في كل زمان ومكان، والنفاق يشكّل منطق الكفر والالحاد، فهو اللسان الناطق، والعقل المفكّر الذي يمدّ الالحاد بخططه ومنهجه، سواء حصل ذلك بالتعاون بين فريق المنافقين وفريق الكافرين أو كان ذلك حاصل في قرارة نفس الانسان المنافق، حيث يستمد من نفاقه حجّة لكفره وتبريراً لعدم دخوله في صفّ المؤمنين.

لهذا ولاسباب موضوعية اخرى شدّد سبحانه على المنافقين، بل من الخطورة بمكان محاباتهم، لذا أوجب سبحانه قتلهم قال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[٤].

---

١. النور / ٤٧ ـ ٥٢.

٢. انظر الآيات من سورة النساء: ٦٠ ـ ٦٥.

٣. النساء / ١٠٥ ـ ١١٤.

٤. النساء / ٨٩.

إنّ اسلوب النفاق في كل عصر ينبع من الحضارة السائدة، واليوم تجد النفاق قد صاغه مريدون باسلوب عصري جديد، فالمنافق يأتيك من طرق عديدة؛ مرة يأتيك بالعروبة واخرى بالقومية، ومرّة يأتيك بالتجديد والاجتهاد، ومرة يقصدك بالانفتاح على الثقافات الاجنبية، ومرّة يحاورك بمنطق العلم دون الدين، واخرى يسعى إليك بتجديد الأحكام واظهارها بلباس الحداثة، والى غير ذلك من كلمات يروق له أن يستخدمها عسى وأن يصطاد بها قلوب ضعيفي الايمان.

مهما يكن من أمر فان اساليب النفاق عديدة ومتنوعه منها:

١ ـ الكذب والأيمان المغلّظة.

٢ ـ قلب الحقائق، كما فعله سمرة بن جندب في قضية نزول آية المبيت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[1].

٣ ـ الامر بالمنكر والنهي عن المعروف.

٤ ـ استخدام الخداع والمكر والحِيَل.

٥ ـ إثارة الخلاف وايجاد الفرقة بين طرفين أو طائفتين.

٦ ـ استخدام وسائل الدعاية بكل صورها حتى الاساليب الدنيئة منها والمنحطّة.

٧ ـ الشماتة في كل مصيبة تحلّ بالطرف الآخر.

٨ ـ تحبيذ اللهو والفساد والدعوة اليهما.

٩ ـ التنفير عن الطاعات كالعبادة اليومية وما شابه.

١٠ ـ تهبيط العزائم في كل عمل فيه رضى الله سبحانه

١١ ـ التجسس ومحاولة الاطّلاع على اسرار المؤمنين.

١٢ ـ الرياء فيما يؤدّونه من عمل عبادي أو اجتماعي.

---

١. البقرة / ٢٠٧.

صفات المنافق

روي عن الرسول ﷺ أنّه قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا عاهَدَ غَدَر، وإذا خاصَمَ فَجَرَ، فمن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها»[١].

وقال ﷺ: من خالفت سريرته علانيته فهو منافق كائنا من كان[٢].

وقال أميرالمؤمنين ﷺ: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني. وذلك أنّه قُضي فانقضى على لسان النّبي الامي ﷺ أنه قال: يا على لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق»[٣].

وعنه ﷺ: إن لسان المؤمن من وراء قلبه وإن قلب المنافق من وراء لسانه.[٤]

وعنه ﷺ: المنافق لنفسه مداهن وعلى الناس طاعن[٥].

وقال الصادق ﷺ: اربع علامات للنفاق: قساوة القلب، وجحود العين، والاصرار على الذنب، والحرص على الدنيا[٦].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كنّ فيه كان منافقا وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم: من اذا أئتمن خان، واذا حدّث كذب، واذا وعد أخلف، إن الله عزّوجلّ قال في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَائِنِينَ ﴾[٧].

---

١. صفة النفاق: ابوبكر الفريابي (ت ٣٠١هـ.)، ص ٣٠.
٢. البحار: ٧٢ / ٢٠٧.
٣. نهج البلاغة الحكمة: ٤٥.
٤. نهج البلاغة خطبة ١٧٦.
٥. غررالحكم: ٢٠٠٨.
٦. بحارالانوار: ٧٢ / ١٧٦، ب ١٠٣ حديث ٤.
٧. الانفال / ٥٨.

وقال: ﴿ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[١].

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إنّ المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، وإذا قام الى الصلاة اعترض.

قلت: يا ابن رسول الله ما الاعتراض؟

قال: الالتفات، فاذا ركع ربض، يمسي وهمّه العشاء وهو مفطر، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، وإن حدّثك كذبك، وإن أئتمنته خانك، وإن غبت اغتابك، وإن وعدك أخلفك[٢].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها... ثم قال: للمنافق ثلاث علامات: يخالف لسانه قلبه، وقلبه فعله، وعلانيته سريرته[٣].

وعن ابي الحسن الاول عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان وطلب الصيد[٤].

اقول: ومن اللهو: الغناء فالاستماع اليه ينبت النفاق في القلب. وقد وردت عدّة آيات في تحريم الاستماع اليه:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٥].

---

١. النور: ٧، انظر بحار الانوار: ٧٢ / ١٠٨، ب ٩٩ حديث ٨.

٢. تفسير نور الثقلين: ١ / ٥٦٦، حديث ٦٣٨.

٣. الخصال: ١ / ١٢١ باب الثلاثة، حديث ١١٣.

٤. المصدر السابق: ١ / ٢٧٧، حديث ٦٣.

٥. لقمان / ٦.

نقل عن ابن عباس قال: المراد بلهو الحديث هو الغناء[1].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾[3].

قال المفسرون: اللغو هو الغناء.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾[4].

قال ابن عباس: سامدون هو الغناء، بلغة حمير، وقال مجاهد هو الغناء بقول اهل اليمن[5].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِن رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً ﴾[6].

روي عن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً قال له: إنّ الله كتب عليّ الشقوة أفلا أراني أُرزق إلا من دَفّي بكفّي، فاذن لي في الغناء من غير فاحشةٍ؟

فقال رسول الله ﷺ: لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت يا عدوّ الله، لقد رزقك الله طيبا، فاخترتَ ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما احلّ الله لك من حلاله، أما إنّك لو قلت بعد هذه النوبة ضربتُك ضربا وجيعا[7].

---

١. المرأة المعاصرة: ١٢٨.

٢. المؤمنون / ٣.

٣. القصص / ٥٥.

٤. النجم / ٦١.

٥. المرأة المعاصرة: ١٢٨.

٦. يونس / ٥٩.

٧. سنن ابن ماجه: ٢ / ٨٧١ كتاب الحدود باب ما جاء في المخنّثين وتفسير الفخر الرازي.



الفصل الخامس

ومن كلام له عليه السلام

عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام



خطبة الامام اميرالمؤمنين عليه السلام لما دفن الزهراء عليها السلام

وَ مِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام (١)

روي عنه أنه قالها عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام، كالمناجي بها رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره:

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَ عَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ، يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَاتَجَلُّدِي، إِلاَّ أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَ فَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَ فَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَ صَدْرِي نَفْسُكَ، فَإِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَ أَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَ سَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَ اسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هذَا وَ لَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَ لَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ وَ لاَ سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وَ إِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

---

١. خطبة رقم ١٩٣. وفي شروح نهج البلاغة تقديم وتأخير، فراجع.

مصادر الخطبة

* اصول الكافي، الشيخ الكليني ١ / ٤٥٨.
* مجالس الشيخ المفيد ص ١٦٠.
* دلائل الامامة للطبري الآملي ٤٧ ـ ٤٨.
* الامالي ـ للشيخ الطوسي ١ / ١٠٨.
* التذكرة ـ لسبط ابن الجوزي ص ٣١٩.
* نهج البلاغة للشريف الرضي خطبة رقم ١٩٣.

ألاوجه البلاغية في النص:

في «وسّدتك» كناية عن إضجاعه ﷺ في اللحد، وهو الشق في جانب القبر. و«ملحودة قبرك» اي الجهة المشقوقة من القبر.

في «استرجعت الوديعة واخذت الرهينة» استعارة. استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس، وجه الاستعارة الاولى أنّ النفوس في هذه الابدان تشبه الودايع والامانات في كونها تسترجع الى عاملها في وجوب المحافظة عليها من المهلكات. او كون المرأة وديعة الرجل، كما يقال: (النساء ودايع الكرام).

والاستعارة الثانية: أنّ كلّ نفس رهينة على الوفاء بالميثاق؛ ميثاق الله، وهي أن ترجع اليه سالمة من سخطه، عاملة بأوامره، غير منحرفة عن صراطه المستقيم.

«الى أن يختار الله لي دارك» في الدار كناية عن الجنة لانه ممّن بشّر بها.

الشـــــرح:

«السّلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك».

يحتمل أن يكون المراد بالنزول في جواره أي في منازل الجنان على أن منزلها في مثواها الاخير هو كذلك بالقرب من مثوى النبي ﷺ ولكون إنّ دفنها كان سرّاً، لذا اختلف في مكان دفنها، قال المفيد في المقنعة إنّها في الروضة استنادا الى مرسلة ابن أبي عمير عن الصادق ﷺ قال: قال النبي ﷺ: مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة. لان قبر فاطمة ﷺ بين قبره ومنبره.

روى الكليني: أن الرضا ﷺ سئل عن قبرها فقال: دفنت في بيتها. فلما زادت بنو امية في المسجد صارت في المسجد[1]، واختاره الصدوق في من لايحضره الفقيه.

وفي قرب الاسناد، سأل رجل أبا عبدالله ﷺ عن مدفن فاطمة وعيسى بن موسى حاضر، فقال له عيسى: بالبقيع. فقال الامام ﷺ: بل دفنت في بيتها[2].

«السريعة اللحاق بك»:

معناه أن فاطمة ﷺ ماتت بعد رسول الله ﷺ بمدة وجيزة قدّرها بعضهم بخمس واربعين يوما وقيل بثلاثة اشهر كما هو عند بعض رواة الخاصة، وعند رواة العامة اقصاها ستة اشهر.

عن جابر الانصاري قال: قال النبي ﷺ لعلي ﷺ: «يا ابا الريحانتين عن قليل يذهب ركناك»، فلمّا توفي النبي ﷺ قال علي ﷺ: هذا أحد الركنين. ولمّا توفيت فاطمة ﷺ قال: هذا هو الركن الآخر[3].

عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة كأنّ مشيتها مشية النبي ﷺ فقال: مرحبا با بنتي،

---

١. الكافي ١ / ٤٦١، حديث ٩.

٢. قرب الاسناد، عبد الله بن جعفر الحميدي، ص ١٦١ ط حجرية طهران، ناصرخسرو.

٣. تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي ص ٢٨٧.

ثم أجلسها عن يمينه، ثم اسرّ اليها حديثا فبكت، فقلت: استخصّك النبي ﷺ وأنت تبكين، ثم إنّه اسرّ اليها فضحكت، فقلت لها: ما رأيت كاليوم أقرب فرحا من حزن، ما اسرّ اليك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ النبي ﷺ حتى إذا قبض سألتها فقالت: قال ﷺ: كان جبرئيل يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة وأنه عارضني به العام مرّتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي وأنّك اوّل أهلي لحوقاً بي، ولنعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك. فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الامّة فضحكت[1].

قد تسأل، ما الذي جرى على بضعة النبي، فاطمة الزهراء ؑ حتى ماتت في ريعان شبابها وهي في عمر الزهور؟!

الجـــــواب:

روى الطبراني والواقدي في تاريخهما أنّ عمر بن الخطاب جاء الى علي في عصابة فيهم أسيد بن الحصين وسلمة بن أسلم[2] فقال: اخرجوا أو لأحرقنّها عليكم.

وروى ابن حزانة في غرره قال: زيد بن أسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر الى باب فاطمة حين امتنع علي واصحابه عن البيعة أن يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي مَن في البيت أو لأحرقنّه ومن فيه. قال: وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي ﷺ، فقالت فاطمة: أتحرق على

---

١. مسند احمد بن حنبل حديث ٢٥٢٠٩، ورواه مسلم ١٢ / ٢٠٧، حديث ٤٤٨٧، والبخاري ١١ / ٤٥٤، حديث ٣٣٥٣ في صحيحهما، وابن عبد ربّه الاندلسي في العقد الفريد ١ / ٣٤٠.

٢. وكان فيمن جاء مع عمر: ابوبكر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبه وابو عبيدة بن الجراح وسالم مولى حذيفة وقنفذ ذكرهم العياشي بسنده، وفيهم ـ ايضا ـ معاذ بن جبل واسيد بن حصين وبشير بن سعيد. انظر: منهاج البراعة لابن ميثم: ٣ / ٢٥.

ولدي؟ فقال: أي والله أو لتخرجنّ وليبايعنّ[١].

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة في حديث طويل بعد ذكر مطالبة فاطمة أبابكر في ميراث رسول الله ﷺ وفدك وسهمه من خيبر قالت: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر، قالت: فكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي...[٢].

وروى ابن أبي الحديد من كتاب احمد بن عبدالعزيز الجوهري بعد ايراد قصة فدك أنّ فاطمة ﷺ قالت: والله لا كلّمتك أبدا. قال: والله لا هجرتك أبدا.

قالت: والله لا دعونّ عليك، قال: والله لا دعونّ الله لك، فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلاً وصلّى عليها العباس بن عبدالمطلب وكان بين وفاتها ووفاة أبيها ﷺ إثنتان وسبعون ليلة[٣].

وقال ابن ابي الحديد: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة[٤] على ابي بكر وعمر، وأنها اوصت أن لا يصلّيا عليها[٥].

روى الصدوق باسناده عن عمرو بن أبي المقدام وزياد بن عبيدالله، عن أبي عبدالله ﷺ في حديث طويل ذكر فيه ﷺ غضبها على أبي بكر وعمر، قال ﷺ: ثم قالت: أنشدكما بالله هل سمعتما النبي ﷺ يقول: فاطمة بضعة منّي وأنا منها، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

---

١. انظر تفصيل الحادثة في كتاب الاحتجاج للطبرسي وكتاب سليم بن قيس ومرآة العقول ٥ / ٣١٨ ـ ٣٢١.

٢. صحيح مسلم: ٩ / ٢٠٧، حديث ٣٣٠٤.

٣. شرح النهج لابن ابي الحديد: ١٦ / ٢١٥.

٤. اي ساخطة عليهما.

٥. شرح النهج: ٦ / ٥٠.

قالا: اللهم نعم.

فقالت: الحمد لله.

ثم قالت: اللهم إنّي اشهدك فاشهد واشهدوا يا من حضرني أنهما قد آذاني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلّمهما من رأسي كلمة حتى ألقى أبي فأشكوكما إليه بما صنعتما بي وارتكبتما منّي، فدعا أبوبكر بالويل والثبور وقال: ليت أمّي لم تلدني. فقال عمر: عجبا للناس كيف ولّوك امورهم وأنت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما لمن أغضب امرأة؟

وقاما وخرجا ثم ذكرﷺ وصيّتها أن لا يحضرا جنازتها ولا الصلاة عليها وأنّه همّ عمر أن يمضي الى المقابر فينبشها حتى يجد قبرها فيصلّي عليها فنازعه عليﷺ وكاد أن تقع فتنة فقعد عن ذلك[1].

تتابع فصول الخطبة

«قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري»

الصفيّة: الحبيبة والخالصة من كل شيء وهي الزهراءﷺ، وقد تظافرت الروايات في ما كان لرسول اللهﷺ من التبجيل لها واكرامها وما كان يكنّ لها من حبّ. فقد كانت احبّ بناتهﷺ اليه، واكرم من عنده، وسيدة نساء أهل الجنة، وكانﷺ اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين ثم بدأ ببيت فاطمةﷺ فسأل عنها ثم يدور على نسائه، وما فعلهﷺ ذاك الاّ إكراما لفاطمة وإعتناءا بها.

«ورقّ عنها تجلّدي»

أي ضعف صبري لفقدها، ورقّ ذلك التجلّد، ثم المصيبة بفراقك أعظم، وكما صبرت في تلك على كونها اشدّ فلئن أصبر على هذي أولى.

---

١. مرآة العقول: ٥ / ٣٢٣.

«إلا إنّ لي في التأسّي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك»:

قد تقرأ «إلاّ إنّ» بكسر الهمزتين وتشديد اللام والنون وقد تقرأ بفتح الهمزتين من (ألا وأن)، ولكلّ منهما توجيه خاص. والفرقة من افتراق القوم.

والتأسّي من تأسّى أي عزّاه فتعزّى. والفادح: الثقيل الصعب، والفادحة المصيبة الشديدة، وكلمة تعزّ بمعنى التصبّر. والتأسّي: الاقتداء. وكأن المعنى أنّ التأسّي لي بالسنة التي جعلتها لي وأوصيتني بها في فرقتك أو مطلق سنّتك وطريقتك في الصبر على المصائب يمكن أن يكون داعيا الى الصبر في تلك المصيبة، و بعبارة اخرى أني قد تأسّيت بسنتك في فرقتك يعني صبرت عليها، فالحري أن أصبر في فرقة ابنتك فان مصيبتي بك اعظم.

ونستفيد من عبارته عليه السلام انّها كالعذر والتسلية لنفسه الشريفة.

«فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك»:

الوسادة: المخدّة والمتّكأ، وسّدتك: أي جعلت لك وسادة. في «وسّدتك» كناية عن إضجاعه صلى الله عليه وآله في اللحد. واللحد: الشق في جانب القبر، و«ملحودة قبرك» أي الجهة المشقوقة من قبرك. وربما اضاف الملحودة الى القبر لكونها بيانية. وفي العبارة تذكير لنفسه عليه السلام وهي كالشرح للمصيبة.

«وفاضت بين نحري وصدري نفسك»:

فاضت أي سالت وجرت نفسك: أي روحك الطاهرة.

كان رأس النبي الشريف حال الاحتضار في حجر أميرالمؤمنين عليه السلام وقد اسنده اليه، أي وضعه بين صدره ونحره متّكأ عليه وهذا من أشد أوضاع وقوع المصيبة وبالخصوص عند الاحبّاء والمقرّبين.

في الارشاد[1] لمّا قرب خروج نفس النبي صلى الله عليه وآله قال لاميرالمؤمنين عليه السلام: ضع

---

١. الارشاد: ١ / ١٨٥، ط كنكره جهاني شيخ مفيد، ١٤١٣هـ.

رأسي في حجرك فقد جاء امر الله تعالى. فاذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك. ثم تلى الآية الشريفة: وهو امتثال لقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ ﴾[1].

«فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة»:

روى الشيخ المجلسي في البحار في حديث احتضار النبي ﷺ: ثم بكت فاطمة عليها السلام واكبّت على وجه النبي ﷺ فقبّلته واكبّ علي والحسن والحسين عليهم السّلام، فرفع رأسه إليهم، ويد فاطمة في يده فوضعها في يد علي عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله، فاحفظني فيها وأنّك لفاعل، هذه والله سيدة نساء أهل الجنّة من الاوّلين والآخرين. هذه والله مريم الكبرى ...[2].

المراد بالوديعة والرهينة كما عرفت هي نفس فاطمة عليها السلام، فاستعار الوديعة والرهينة لتلك النفس الكريمة، لان الارواح كالودايع والرهاين في الابدان، أو لأنّ النساء كالودايع والرهاين عند الزواج.

«أمّا حزني فسرمد، وامّا ليلي فمسهّد»:

السّرمد: الدائم: فحزنه على فقد النبي والزهراء عليها السلام لا ينقطع.

السّهد، بالضم: السهر، وبضمتين القليل النوم، وسهّدته فهو مسهّد على صيغة التفعيل، والاسناد إلى الليل تجوّزاً.

«إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم»:

أي أنه عليه السلام سيصبر امتثالا لامر النبي ﷺ وعملاً بكتاب الله، انه سبحانه يوفّي اجور الصابرين بغير حساب، ثم أنّ لصبره عليه السلام امرا يقتضيه الدين الحنيف وذلك حفاظا على الشريعة عليه السلام المقدّسة ولئلا يعود الناس الى جهالتهم وضلالتهم، لأنّ

---

١. البقرة / ١٥٦.

٢. نهج الصباغة ـ للتستري: ٥ / ١٠ وبحار الأنوار: ٢٢ / ٤٨٤.

اعلان الحرب على الغاصبين نذير بردّة الناس، وهم جديد عهد بالاسلام.

وسيدوم هذا الصبر حتى يقبضه الله اليه، فهي الدار التي انت فيها -يا رسول الله- مقيم، وهي الجنة والدرجات العالية في الآخرة.

«وستنبّئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها»:

أي ستخبرك الزهراء ﷺ بما جرى عليها من الظلم والاعتداء وتجاسرهم على حرمة هذا البيت.

تضافروا على الشيء: تعاونوا عليه، أي اجتمعت كلمة القوم أن يغصبوا حقها ويحملوا الحطب ليضرموا النار على بابها ويسقطوا جنينها.

في العبارة: شكوى الى الرسول تقدّم بها ﷺ، وبيان عن حاله وحال الزهراء ما لاقوه من الأمة من خذلان، وغصب حقوقهما.

«فاحفها السؤال واستخبرها الحال»:

الإحفاء في السؤال: الاستقصاء فيه والمبالغة والعناية في امره.

واستخبرها الحال: أي حالي وحالها وحال امّتك في ظلمهم لي ولها.

وفي بعض المصادر عبارته ﷺ فيها: «فبعين الله تدفن ابنتك سرّا» أي بعلم الله ومع رؤيته وشهوده، قال الراغب في المفردات: فلان بعيني أي احفظه وأراعيه كقولك: هو منّي بمرأى ومسمع، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[1]. وقال: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[2].

«دفن ابنتك سرّا» لغاية مظلوميتها من منع ارثها ونحلتها.

«هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر»:

الجملة حالية: أي فعلوا جميع ذلك ولم يبعد ذلك ولم يبعد عهدهم بك وبما

---

١. الطور / ٤٨.

٢. هود / ٣٧.

سمعوا منك في أهل بيتك مع وجوب رعاية حرمتك.

«والسلام عليكما سلام مودع...»:

صورة وداع لهما ـ للنبي ﷺ والزهراء ؑ ـ «لا قال ولا سئم...» امّا وداعي لكما فلا عن كره أو بغض، ولا عن جزع أو ملل.

«فإن انصرف فلا عن ملالة وإن أقم...»:

تنزيه لنفسه عما يخطر ببال أحد أنه ؑ جزع على هذا المصاب فلازم القبور لشدّة تأسّفه وحزنه.

قبس من فضائل فاطمة ؑ

عن علي بن جعفر، عن أخيه، عن أبي الحسن ؑ قال: إنّ فاطمة ؑ صدّيقة شهيدة[1].

إنّها كانت صادقة في جميع اقوالها وافعالها، وكانت كثيرة التصديق لما جاء به النبي ﷺ، والصدّيقة هي معنى العصمة، وهي داخلت في عموم الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[2].

روى الخطيب في «عبدالرحمن بن على» عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قال: إنّ النبي ﷺ جمع عليّا وفاطمة والحسن والحسين ؑ ثم أدار عليهم الكساء، فقال: هؤلاء أهل بيتي اللّهم اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. وأم سلمة على الباب، فقالت: يا رسول الله ألست منهم؟ فقال: إنك لعلى خير أو إلى خير[3].

---

١. الكافي ١ / ٤٥٨، حديث ٢.

٢. الاحزاب / ٣٣.

٣. مناقب علي ؑ للحافظ الشافعي ابن المغازلي: ٣٠٥، وتاريخ الخطيب البغدادي: ١٠ / ٢٧٨، وتفسير الطبري: ٢٢ / ٧.

وروى سبط ابن الجوزي بسنده عن المسوَر بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، فمن اغضبها فقد اغضبني[١]. اخرجه مسلم والترمذي[٢].

وروى سبط ابن الجوزي بسنده عن اميرالمؤمنين ﷺ، عن الرسول قال ﷺ لفاطمة ﷺ: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك[٣].

وعنه بسنده عن منذر الثوري، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم لتجوز فاطمة بنت محمّد على الصراط[٤].

وفيها وفي ولديها واميرالمؤمنين ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** ﴾[٥].

روى سبط ابن الجوزي بسنده عن ابن عباس قال: مرض الحسن والحسين ﷺ فعادهما رسول الله ﷺ ومعه ابوبكر وعمر، وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا اباالحسن لو نذرت على ولديك نذرا فكل نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء.

فقال علي ﷺ لله إن برأ ولداي مما بهما صمت لله ثلاثة ايام شكرا، وقالت فاطمة كذلك، وقالت الجارية يقال لها فضة كذلك، فألبس الغلامان العافية وليس عند آل محمّد قليل ولا كثير، فانطلق علي ﷺ الى شمعون بن حانا اليهودي فاستقرض منه ثلاثة اصواع من شعير، فجاء به الى فاطمة، فقامت الى صاع

---

١. تذكرة الخواص: ٢٧٩.

٢. صحيح مسلم: ١٢ / ٢٠٢، حديث ٤٤٨٢ وسنن الترمذي ١٢ / ٣٧٠، حديث ٣٨٠٢ و٣٨٠٤.

٣. تذكرة الخواص: ٢٧٩.

٤. المصدر السابق.

٥. الانسان: ٧.

فطحنته وخبزته خمسة أقراص، لكلّ واحد منهم قرص، وصلّى علي ﷺ المغرب مع النبي ﷺ ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم، فجاء سائل أو مسكين فوقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي ﷺ فقال:

فاطمة ذات المجد واليقين   يا بنت خير الناس اجمعين
أما ترين البائس المسكين   قد قام بالباب له حنين
يشكوا الى الله ويستكين   يشكو إلينا جائع حزين
كل امريء بكسبه رهين   وفاعل الخيرات يستبين
موعده جنة عليين   حرّمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين   تهوي به النار الى سجّين

شرابه الحميم والغسلين

فقالت فاطمة ﷺ:

اطعمه ولا ابالي الساعة   أرجو إذا أشبعت ذا مجاعة
أن الحق الاخيار والجماعة   واسكن الخلد ولي شفاعة

قال فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء القراح، ولمّا كان اليوم الثاني طحنت فاطمة من الشعير وصنعت منه خمسة اقراص وصلّى علي ﷺ المغرب وجاء الى المنزل فجاء يتيم فوقف على الباب فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمّد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي اطعموني مما رزقكم الله اطعمكم الله من موائد الجنة فقال علي ﷺ:

فاطمة بنت السيد الكريم   بنت نبي ليس بالذميم
قد جاءنا الله بذا اليتيم   قد حرّم الخلد على اللئيم

يحمل في الحشر الى الجحيم شرابه الصديد والحميم
ومن يجود اليوم في النعيم شرابه الرحيق والتسنيم

فقالت فاطمة ﷺ:

إنـي اطعمه ولا ابالي وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعا وهم اشبالي

فرفعوا الطعام وناولوه ايّاه، ثم أصبحوا وأمسوا في اليوم الثاني كذلك كما كانوا في الاوّل، فلما كان في اليوم الثالث طحنت فاطمة باقي الشعير ووضعته فجاء علي ﷺ بعد المغرب، فجاء أسير فوقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد أسير محتاج تأسرونا ولا تطعمونا اطعمونا من فضل ما رزقكم الله فسمعه علي ﷺ فقال:

فاطم يا بنت النبي احمد بنت نبي سيد مسود
منّي على أسيرنا المقيّد من يطعم اليوم يجده في الغد
عند العلي الماجد الممجّد من يزرع الخيرات سوف يحصد

فقالت فاطمة ﷺ:

لم يبق عندي اليوم غير صاع قد مجلت كفّي مع الذراع
ابناي والله من الجياع ابو هما للخير ذو اصطناع

ثم رفعوا الطعام واعطوه للأسير، فلمّا كان اليوم الرابع دخل علي ﷺ على النبي ﷺ يحمل ابنيه كالفرخين، فلمّا رآهما رسول الله ﷺ قال: وأين ابنتي؟ قال ﷺ: في محرابها.

فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها ولقد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدّة الجوع، فقال النبي ﷺ: واغوثاه بالله آل محمّد يموتون جوعا! فهبط جبرئيل

وهو يقرأ: «يوفون بالنذر...» الآية[١]....

روى الاربلي عن مجاهد قال: خرج النبي ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله[٢].

لو لم يكن إلاّ هذا الحديث الشريف لكفى دلالة على عصمة الزهراء عليها السلام، فلو كانت فاطمة عليها السلام ممّن يقارف الذنوب لجاز ايذاؤها، بل إقامة الحد والتعزير عليها لو فعلت ـ ومعاذ الله أن تفعل ـ ولم يكن رضاها رضى الله سبحانه إذا رضيت بالمعصية، ولا من سرّها في معصية سارّ الله سبحانه ومن أبغضها بمنعها عن معصية مبغضا له جل شأنه، وكل ذلك يناقض عموم الاخبار، كما اسلفنا بعضها، واليك البعض الآخر:

روى ابن المغازلي في مناقبه بسنده الى علي أن رسول الله ﷺ قال: «يا فاطمة إنّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[٣].

ورواه الكافي[٤] في باب مولد فاطمة عليها السلام؛ عن أحمد بن مهران رفعه، وعن احمد ابن ادريس، عن محمّد بن عبدالجبار الشيباني، عن القاسم بن محمّد الرازي، عن علي بن محمّد الهرمزاني، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: لمّا قبضت فاطمة عليها السلام دفنها اميرالمؤمنين عليه السلام سرّاً، وعفى على موضع قبرها، ثم قام فحوّل وجهه الى قبر الرسول ﷺ وقال الذي تقدم.

---

١. تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي: ٢٨٣.
٢. كشف الغمة باب فضائل فاطمة ومولدها: ١ / ٥٠١.
٣. مناقب ابن المغازلي: ٣٥١، ورواه ابن الاثير الجزري في اسد الغابة: ٥ / ٥٢٢، وميزان الاعتدال: ١ / ٥٣٥، رقم ٢٠٠٢، وفي مجمع الزوائد: ٩ / ٢٠٣.
٤. اصول الكافي ـ محمّد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩هـ، ١ / ٤٥٨، ط ٤، دار صعب والتعارف، بيروت ١٤٠١هـ.

واعلم إنّ ما جاء في الكافي والامالي فيه زيادات على النص الموجود عند الشريف الرضي.

كما روى كلام الامير المتقدّم الشيخ المفيد في أماليه في المجلس (٣٣) عن محمّد بن عبدالجبار، عن القاسم بن محمّد الرازي، عن علي بن محمّد الهرمزاني، عن على بن الحسين، عن أبيه قال: لمّا مرضت فاطمة عليها السلام وصّت إلى علي عليه السلام أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن احدا بمرضها، ففعل ذلك، وكان يمرّضها بنفسه، وتعينه على ذلك اسماء بنت عميس. فلمّا حضرتها الوفاة وصّت اميرالمؤمنين عليه السلام أن يتولّى امرها، ويدفنها ليلا ويعفى قبرها، فتولّى عليه السلام ذلك، ودفنها وعفي موضع قبرها.

فلمّا نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه الى قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال الذي تقدّم[١].

وروى كلامه عليه السلام -ذاك- الشيخ الطوسي في أواخر الجزء الرابع[٢] ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرته[٣] ورواه الاربلي في كشف الغمة[٤].

---

١. امالي الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، ت ٤١٣هـ، ص ٢٨١، جامعه مدرسين، قم، ١٤٠٣هـ.

٢. امالي الشيخ الطوسي.

٣. تذكرة الخواص ـ سبط ابن الجوزي، ص ٢٨٧، مؤسسة اهل البيت، بيروت.

٤. كشف الغمة ـ علي بن عيسى الاربلي: ١ / ٥٠٥، المطبعة العلمية قم ١٣٨١هـ.



الفصل السادس

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

وهي المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام[1]

وهي المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها (١) فُلانٌ[2] وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا (٢)، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ (٣)، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ (٤). فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً (٥)، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً (٦)، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ (٧)، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ (٨)، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ (٩).

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى (١٠)، فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذىً، وَفي الحَلْقِ شَجاً (١١)، أرى تُرَاثي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ (١٢) لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان (١٣) بَعْدَهُ.

ثم تمثّل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ (١٤)

---

١. الخطبة رقم: ٣ من نهج البلاغة.

٢. وفي بعض النسخ بدل (فلان): ابن ابي قحافة.

فَيَا عَجَباً !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها (١٥) في حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لاخرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا (١٦) ! فَصَيَّرَهَا في حَوْزَة خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا (١٧)، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ [فِيهَا] وَالأعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ (١٨)، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْط وَشِمَاس (١٩)، وَتَلَوُّن وَاعْتِرَاض؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حتّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ (٢٠) جَعَلَهَا في جَمَاعَة زَعَمَ أَنّي أَحَدُهُمْ.

فَيَاللهِ وَلِلشُّورَى ! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حتّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ (٢١) ! لكِنِّي أَسفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا (٢٢)، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ (٢٣)، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ (٢٤)، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ (٢٥)، نَافِجاً حِضْنَيْهِ (٢٦) بَيْنَ نَثِيلِهِ (٢٧) وَمُعْتَلَفِهِ (٢٨)، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الإِبِل نِبْتَةَ الرَّبِيعِ (٢٩)، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ (٣٠).

فَمَا رَاعَنِي إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إليَّ (٣١)، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حتّى لَقَدْ وُطِىءَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ (٣٢)، مُجْتَمِعِينَ حَوْلي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ (٣٣).

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ [وقسط] آخَرُونَ (٣٤) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً في الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٣٥)، بَلَى ! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا في أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا (٣٦)، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ (٣٧)، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ (٣٨)، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِم (٣٩)، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا (٤٠)، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز !

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد(٤١) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته قال له ابن عباس: يا أميرالمؤمنين، لو اطَّرَدتْ خُطبتُك من حيثُ أفضيتَ!

فَقَالَ عليه السلام: هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ(٤٢).

قال ابن عباس: فوالله ما أَسفت على كلام قطّ كأَسفي على هذا الكلام ألاَّ يكون أميرالمؤمنين؟ بلغ منه حيث أراد.

*

مصادر الخطبة الشقشقيّة

لقد اعرضنا كشحاً عن نهج البلاغة -جمع الشريف الرضي- وحرصنا أن نذكر الخطبة من مصادر أخرى، غير نهج البلاغة، تعود الى القرن الثالث والرابع الهجريين وهي كالآتي:

١ ـ الغارت/ ابن هلال الثقفي، ت ٢٨٣هـ.

٢ ـ المحاسن والاداب/ الرقي، ت ٢٨٠هـ.

٣ ـ المواعظ والزواجر/ ابن سعيد العسكري، ت ٢٩١ عن الغدير ٨٢/٧.

٤ ـ نقل ابن الخشاب بعد أن أقسم أنّه رأى هذه الخطبة في كتاب قد أولّف قبل الشريف بـ(٢٠٠ سنة). ما هو نهج البلاغة للشهرستاني ص٩٨.

٥ ـ العقد الفريد/ ابن عبد ربه الاندلسي، ت ٣٢٨هـ. نقلاً عن البحار م٨/ ١٦٠ط حجرية.

٦ ـ عبد الله بن محمّد بن محمود المعروف بابن كعب البلخي المعتزلي، وفاته قبل مولد الرضي، ت ٣١٧هـ. بنقل ابن ابي الحديد م ١/ ٦٩.

٧ ـ الانصاف في الامامة/ ابو جعفر بن قبّة، ت ٣٨٠هـ. (المعتزلي) تلميذ ابن كعب المتقدم.

٨ ـ معاني الاخبار/ الصدوق، ت ٣٨١هـ. ص ٣٤٣.

٩ ـ علل الشرائع / الصدوق، ت ٣٨١هـ. ص ١٤٤.

١٠ ـ تحف العقول/ ابن شعبة الحرّاني، ت ٣٨٠هـ. ص ٣١٣.

١١ ـ كتاب الجمل/ المفيد، ت ٤١٣هـ. ص ٩٢ و٦٢.

١٢ ـ الارشاد/ المفيد، ت ٤١٣هـ. ١ / ١٣٠ و٢٨٤ و٢٨٦.

١٣ ـ المغني/ القاضي عبد الجبار، ت ٤١٥هـ. بنقل الغدير ٧ / ٨٣.

١٤ ـ الامالي/ ابو الفتح هلال بن محمّد الحفار، ت ٤١٤هـ، بنقل الطوسي في اماليه ١ / ٣٩٢.

١٥ ـ الإفصاح في الإمامة/ المفيد، ت ٤١٣هـ.

١٦ ـ نثر الدرر/ الوزير منصور بن الحسين ابو سعيد الآبي، ت ٤٢٢هـ. بنقل الاعيان للامين ٨ / ١٠٧.

ومن المصادر التي كان مؤلفوها قد عاصروا الشريف الرضي أو عاشوا بعده:

١٧ ـ نزهة الاديب/ الوزير منصور بن الحسين ابو سعيد الآبي

١٨ ـ الفهرست/ ابن النديم، ت ٤٣٨هـ. ص ٢٢٤.

١٩ ـ الشافي/ للسيد المرتضى، ت ٤٣٦هـ. ص ٢٠٣.

٢٠ ـ شرح الخطبة الشقشقية/ المرتضى ٤٣٦هـ.

٢١ ـ الاوائل/ ابن هلال العسكري، ت ٣٩٥هـ.

٢٢ ـ الرسائل العشر/ الطوسي، ت ٤٦٠هـ. ص ١٢٤.

٢٣ ـ الفهرست/ النجاشي، ت ٤٥٠هـ. ص ٩٢.

٢٤ ـ الأمالي/ للشيخ الطوسي، ت ٤٦٠هـ. ١ / ٣٩٢.

٢٥ ـ مجمع الامثال/ الميداني ت ٥١٨هـ. ١ / ١٩٧.

٢٦ ـ المستقصي/ الزمخشري، ت ٥٣٨هـ. ١ / ٣٩٣.

٢٧ ـ شرح نهج البلاغة/ القطب الراوندي، ت ٥٧٣هـ.

٢٨ ـ خطب علي ﷺ لابراهيم بن الحكم الفزاري.

٢٩ ـ غرر الحكم/ الامدي، ت ٥٨٨هـ. ٣ / ٤٦ و٦ / ٢٣٢ و٢٥٦.

٣٠ ـ الاحتجاج/ الطبرسي، ت ٥٨٨هـ. ١ / ١٩١ و٢٨١.

٣١ ـ المناقب/ ابن الجوزي، ت ٦٥٤هـ.

٣٢ ـ تذكرة الخواص، يوسف بن خزعلي سبط ابن الجوزي الحنفي، ت ٦٥٤هـ. ص ١٣٣.

٣٣ ـ الفرقة الناجية/ القطيفي، ت ٩٤٥هـ.

٣٤ ـ المجلى/ ابن أبي جمهور الاحسائي، ت ٩٠٩ ص ٣٩٣.

٣٥ ـ البحار/ المجلسي، ت ١١١٠هـ طبعة حجرية، ٨ / ١٦٠.

٣٦ ـ ما كتبه الوزير ابو الحسن علي بن محمّد بن الفرات، كان وزير المعتمد بالله، كتب الخطبة في نسخة وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة وأنّ الخطبة قد كانت مكتوبة قبل ابن الفرات بمدّة، الغدير ٧ / ٧٤.

٣٧ ـ النهاية/ لابن الاثير، ت ٢ / ٢٩٤.

وقد شرح ابن الأثير جملة من الفاظ الخطبة مثل: (جذذ)، (ملا)، (خضم)، (ابض)، (زبرج)، (شنق)، (عفط).

وقد روى بعض هذه الكلمات غير ما اثبته الرضي فيعلم أن لابن الاثير مصادر عثر عليها غير نهج البلاغة جمع الرضي.

٣٨ ـ لسان العرب/ لابن منظور مادة شقشق.

٣٩ ـ القاموس/ الفيروز آبادي ٣ / ٢٥١.

شرح الخطبة ومفرداتها:

(١) تقمّصها: أي تلبّس بها؛ وهي الخلافة، وفلان أراد به: أبا بكر ابن ابي قحافة.

(٢) محل القطب من الرّحى: إشارة الى كون موقعه من بين المسلمين كموقع القطب الذي تدور عليها الرّحى، وأنّه المركز الذي تأوي إليه الجموع وتلوذ به الفرسان.

(٣) ينحدر عنّي السّيل: تشبيهاً لنفسه بذروة الجبل المرتفع، فهو منبع العلم والمعرفة وهذا تمثيل لسمّو قدره، وقربه من مهبط الوحي، وأنّ علمه ينحدر من ذلك النبع الإلهي فيصيب منه ما شاء الله، لذا فانّ الخلافة ممتنعة على غيره، لايصلح أحد لها ولا يتمكن منها.

(٤) ولا يرقى اليّ الطير: لا يصل الى مقامه من الفضل والعلم أحدٌ، والعبارة في غاية البلاغة في الدلالة على الرفعة.

وعبارته هذه اعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها، لان السيل ينحدر عن الرابية والهضبة، وأما تعذّر رقي الطير بما يكون للقلال الشاهقة جداً، بل ما هو أعلى من قلال الجبال: كأنّه يقول لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها.

قال حبيب الطائي:

مكـــارم لجّت فـي عـلوٍ كأنّـما تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

(٥) فسدلتُ دونَها ثوباً: كناية عن إعراضه عن الخلافة، وسَدَلَ الثوبَ ارخاه.

(٦) الكشح: ما بين الجنب والخاصرة، والكاشح: المعرض عنك حين يوليك كشحه أي جنبه، وهو مثل، لأنّ من جاع فقد طوى كشحه، ومن شبع فقد ملأه، فجوعه عن الخلافة أي لم يلتقمها.

(٧) طفقت: جعلت. أرتاي: افكر. يدجذّاء: أي مقطوعة، ويقولون رحم جذاء أي لم توصل، وسن جذاء أي متهمة، والمراد هنا ليس ما يؤيدها، كأنه قال تفكرت في الأمر فرأيت قلة الناصر أو عدمه، لذا وجدت الصبر أولى، وهذا بيان لعلة الاغضاء.

(٨) طخية عمياء: الظلمة الشديدة، والغم والحزن، ونسبة العمى الى الظلمة مجاز عقلي، وانّما يعمى القائمون فيها، إذ لا يهتدون الى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٩) يكدح: يدأب ويسعى ويجد فلا يعطى حقه.

(١٠) أحجى: أولى، يقال: هذا أحجى من هذا: أي أولى وأحرى وأوجب وألزم، لذا أولع بالصبر ولزمه. ومنه: هو حجي بكذا أي جدير به، وأصله عن الحجا بمعنى العقل، فهو أحجى أي اقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه، والمعنى الذي تجسده العبارة هو: أنه رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(١١) القذى: ما يقع في العين من عود وتراب ونحوه. والشجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه. والتراث: حقه المغتصب، أي الخلافة، والنهب: أخذ المال وغيره بالغلبة والاعتداء والقهر.

(١٢) الأوّل: هو ابو بكر بن ابي قحافة. أدْلَى بها، أي بالخلافة، أدلى إليه بالمال دفعه إليه، حيث صيّر ابو بكر الخلافة من بعده الى قرينه ابن الخطاب.

(١٣) الثاني: أبو حفص؛ عمر بن الخطاب.

(١٤) الكور: الرحل، يقول ﷺ: هناك فرق بين يوم بويعت فيه بالخلافة مع ما فيه من الاختلاف ويوم بويع فيه عمر إذْ وجد الأمور أمامه ممّهدة.

ما الذي يعنيه البيت المذكور آنفاً الذي استشهد به الامام ﷺ؟

حيّان كان سيّداً في بني حنيفة، مطاعاً فيهم،وكان ذا حظوة عند ملوك فارس، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الاعشى ينادمه. والاعشى هذا؛ اعشى قيس؛ ابو بصير ميمون بن قيس بن جندل وجابر أخو حيان اصغر منه.

ومعنى البيت: أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيّان في رفاهيته. فإنّ الأوّل كثير العناء شديد الشقاء. والثاني وافر النعيم وافر الراحة.

(١٥) الاستقاله: طلب الاعفاء من الأمر. وروى بعض علماء الجمهور أن ابا بكر قال بعد البيعة: اقيلوني فلست بخيركم.

(١٦) لشدّ ما: أي شديداً جداً. تشطّرا: اقتسما. والضمير في ضرعيها يعود على الخلافة. قالوا أنّ للناقة في ضرعيها شطرين كلّ خلفين شطر.

ويقال شطر بناقته تشطيرا صَرَّ خلفين وترك خلفين. والشطر أيضاً أن تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطّرا أي اخذ كلّ منهما شطراً، سمّى شطري الضرع ضرعين مجازاً، وهو هنا من أبلغ انواعه، حيث أنّ من ولّى الخلافة لا ينال الأمر إلاّ تاماً ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد إسم التشطير والاقتسام كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر، واطلق على كلّ شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة مانال كلّ واحد من امر الخلافة.

(١٧) الحوزة: الجهة. الكَلْم بفتح الكاف وسكون اللام الجرح، كأنّما عنى بقوله هذا: أن خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(١٨) الصعبة من الابل: التي لم تروّض، إنْ أشنق لها راكبها بالزمام خرم انفها، وإنْ أسلس زمامها: أي اطلق لها الزمام تقحّم في المهالك فألقته في مهواة.

(١٩) مُني الناس: ابتلوا وأُصيبوا. الخبط: السير على غير جادة. والشِماس بالكسر النفار. التلون: التبدل. الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولا.

(٢٠) الضمير في (لسبيله) يعود الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

(٢١) النظائر: الذي يشبه بعضهم بعضاً دونه.

(٢٢) أسفّ الرجل: إذا دخل في الأمر الدني؛ من أسفّ الطائر إذا دنا من الارض، واراد بذلك أنّه لم يخالفهم في شيء.

(٢٣) صغى: مال. الضغن: من الضغينة يريد به سعد بن أبي وقّاص؛ لان علياً ﷺ قتل اخواله من بني اميّة، أو طلحة لأنّه تيمي. والّذي مال الى صهره عبد الرحمن بن عوف، لأنّه زوج أم كلثوم بنت أبي معيط أخت عثمان لامّه.

(٢٤) هَن: بوزن أخ كناية عمّا لا يريد التصريح به، إذ يشير الى اغراض أخر يكره ذكرها.

(٢٥) ثالث القوم: يشير الى عثمان بن عفّان، وكان ثالثاً بعد انضمام كلّ من طلحة والزبير وسعد الى صاحبه.

(٢٦) الحضن: ما بين الابط والكشح، يقال للمتكبّر: جاء نافجاً حضنيه، ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً.

(٢٧) النثيل: الروث.

(٢٨) المعتلف: موضع العلف، ومعنى ما تقدم أنّه لاهم له الا ما ذكر.

(٢٩) الخضم: الأكل بجميع الفم أو بكلّ الاصابع، والقضم الاكل باطراف الاسنان فهو اخف من الخضم.

(٣٠) انتكث فتلُهُ: انتقض. وأجهز عليه: أتم قتله. والبطنة: امتلاء البطن من الطعام: وكبتْ به: من كبا الجواد اذا سقط لوجهه.

(٣١) عرف الضبع: شبّه كثرتهم بكثرة الشعر. والعرف: الشعر النابت على عنق الفرس، فاستعاره للضبع وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام وانثالوا: أي انصبّوا وتتابعوا مزدحمين.

(٣٢) شق عطفاي: العطف بكسر العين الجانب. وتروى عطافي: أي ردائي، وذلك أنّ كثرة الزحام عليه وشدة اصطكاك الناس من حوله خدش جانباه. وكان الازدحام لاجل البيعة.

(٣٣) ربيضة الغنم: الطائفة من الغنم. يصف ازدحامهم وجثومهم بين يديه.

(٣٤) الناكثون: أصحاب الجمل لانهم بايعوه فنكثوا بيعته؛ وهم طلحة والزبير وعائشة واصحابهم. والمارقون: الخوارج أصحاب النهروان. والقاسطون: معاوية وعمرو بن العاص وأهل الشام أصحاب واقعة صفين. والقاسط: الجائر.

(٣٥) سورة القصص آية / ٨٣.

(٣٦) راقهم زبرجها: أي أعجبهم من زينة الدنيا حسنها وزينتها وما فيها من مُتعٍ ولذّات. وأصل الزبرج: النقش والزينة من وشي أو جوهر.

(٣٧) فلق الحبّة: شقّها. برأ النسمة: خلقها، والنَسمة محركة النفس وكان كثيراً ما يقسم بهذا القسم، وهو من أقسامه الجميلة.

(٣٨) الحاضر: من حضر لبيعته. الناصر: الجيش الذي يستعين به.

(٣٩) الكظة: امتلاء البطن من الطعام، يريد أنهم لا يقاروا الظالم على استئثاره واكله الحرام. السغب. شدة الجوع، والمراد منه هضم حقه الواجب له.

(٤٠) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وارسال الأمر.

(٤١) اهل السواد: سواد الكوفة، أي ضواحيها، وسمّي بالسواد لكثرة زرعه وخضرته.

(٤٢) الشقشقة: شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج. والهدير: صوتها.

ما نقله ابن أبي الحديد في شأن الخطبة

قال: حدّثني شيخي ابو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث

وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب هذه الخطبة فلمّا انتهيت الى هذا الموضع (يعني قول ابن عباس: ما اسفت.. الخ) قال لي: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟ والله ما رجع عن الاوّلين ولا عن الآخرين ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه واله، قال مصدق: وكان ابن الخشّاب صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت أتقول إنها منحولة؟ فقال: لا والله وإني لأعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق، فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضيّ رحمه الله تعالى؟ فقال: أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب، فقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع في هذا الكلام في خل ولاخمر. ثُمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتبٍ صنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط اعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي[1].

تسمية الخطبة

سمّيت هذه الخطبة بـ(الشقشقيّة) وبـ(المقمّصَة) من حيث اشتمالها على لفظ التقمّص في أوّلها. ومن حيث عبارة الإمام ﷺ التي وردت في آخر الخطبة جواباً لابن عبّاس لمّا سأله بقوله: يا أمير المؤمنين لو اطّردتْ خطبتك مِن حيث أفضيت!

فقال ﷺ: هيهات يا ابن عباس! تلك شِقشِقة هَدَرَتْ..

تكاد أن تكون هذه الخطبة هي السبب الرئيسي في اثارة القوم للشبهات الواهية

---

١. شرح نهج البلاغة ـ ابن ابي الحديد ١ / ٦٩.

حول نهج البلاغة، والتشكيك فيه، ورمي جامعِه الشريف الرضي بالكذب والتزوير. وما رغاء اولئك إلا مكابرة للحق والعناد الذي امات قلبهم واصم اسماعهم.

ثُمّ إن المعركة حول (نهج البلاغة) منذ أن نشبت الى يومنا هذا وإن اصْطبغت بصبغة ادبية في ظاهرها لكنّها مذهبية سياسية في باطنها.

الامام أمير المؤمنين ﷺ في هذه الخطبة يرى نفسه أنّه أحق بمقام رسول الله ﷺ من منافسيه. ومنافسوه يعلمون ذلك حقاً. لكن ماذا يعمل حين لم يجد من يناصره على المطالبة بحقّه؟! لهذا صبر على مضض، وأعرض عن غير رضى. والمرء لابّد من أن يحاجج خصمه، ويدافع عن حقّه، ويدلي بأدلّته، وفي كون الإمام أحق بهذا الأمر من غيره امر مستفيض عنه، من ذلك قوله ﷺ لابي بكر لمّا طلبوه ليبايع فقال ﷺ: (أنا أحق بهذا الأمر منكم وانتم أولى بالبيعة لي). وقوله لأبي عبيدة بن الجرّاح لمّا طلب اليه أن يبايع لأبي بكر: (الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وعقر بيته.. ولا تدفعوا أهله عن مقامه، فوالله لنحن أحق الناس به)[١].

وامّا كتابه الى معاوية فهو اكثر صراحة من قبل إذْ جاء فيه: (وذكرت حسدي للخلفاء، وابطائي عنهم، والكراهية لأمرهم، فلست اعتذر الى الناس من ذلك..

الى أن يقول: بل عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ وقد تركته لهم)[٢].

بل اعتراف عمر بن الخطاب أكبر دليل على احقيّة الإمام علي بالخلافة، من ذلك. ما رواه ابن عبّاس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وانا على فرس، فقال: أمَ والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر، فقلت في نفسي لا أقالني الله إن أقلته فقلت: انت

---

١. الإمامة والسياسة ١/ ١١.

٢. جمهرة رسائل العرب.

تقول ذلك يا أمير المؤمنين، وانت وصاحبك وثبتما عليه، وافترعتما الأمر منه دون الناس؟

فقال: إليكم يا بني عبد المطلب أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب.

فتأخرت عنه وتقدم هنيهة فقال: سر لا سرت وقال: أعد علي كلامك.

فقلت إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه، ولو سكت سكتنا، فقال: إنا والله ما فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

قال: فأردت أن أقول كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها أفتستصغره أنت وصاحبك؟

فقال: لا جرم فكيف ترى؟

قال: والله لا نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتّى نستأذنه[1].

وبمثل هذا نقل ابن ابي الحديد المعتزلي فقال: قال عمر لابن عباس: يا ابن عباس أمَ والله إن كان صاحبك يعني علياً ﷺ أولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا انا خفناه على اثنتين.

قال ابن عباس: فجاء بمنطق لم أجد بداً من مسألته عنه، فقلت يا أمير المؤمنين ما هما؟ قال: حداثة سنّه، وحبّه بني عبدالمطلب ﷺ[2].

ثمّ أيّ ضير من الإمام أمير المؤمنين ﷺ في الدفاع عن حقّه والقوم يعترفون له بهذا الحق المغتصب!

وهل الدفاع عن الحق والتعرض للغاصبين أمر منكر؟!

اليك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ (انا

---

١. محاضرات الراغب الاصفهاني ٢ / ٢١٣.

٢. شرح نهج البلاغة ١ / ١٣٤.

فرّطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتّى اذا أهويت لاناولهم اختلجوا دوني فأقول: ربي اصحابي فيقال: لا تدري ما احدثوا بعدك)[1].

وروى مثله البخاري عن سهل بن سعد وزاد فيه: (فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي).

الأبعاد الحسيّة للخطبة

تشتمل الخطبة على الشكوى والتظلّم من القوم والشيخين بـالذات فـي أمـر الإمامة والخلافة، وقد عرفت أنّها محل خلاف بين الشيعة ومناوئيهم في نسبة الخطبة للإمام عليه السلام أو للرضي، وقد ثبت أنّها وجدت في مصادر قبل أن يولد الرضي بقرنين من الزمان؛ كما هو عن مصدّق بن شبيب النحوي قرأ ها على استاذه ابي محمّد بن الخشّاب حيث قال: إنّها وجدها قبل أن يخلق ابو الرضي فضلاً عن الرضي...، وكذا توجد في كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبّة، تلميذ ابي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة كانت وفاته قبل أن يولد الرضي، وكذا وجدها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمّد بن الفرات؛ وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة.

---

١. صحيح البخاري، كتاب بدأ الخلق في باب غزوة الحديبية. ورواه احمد بن حنبل في مسنده ١ / ٣٨٤ و٤٠٢ و٤٠٦ و٤٠٧ و٤٥٣ و٤٥٥، ٢ / ٢٨١، ٥ / ٤٨ و٥٠ و٣٩٣.

ورواه المتقي الهندي في كنزالعمال ٧ / ٢٢٤ عن ابن مسعود وفي ص ٢٢٥ عن سمرة و٦ / ٤٢٤.

ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة في الوضوء عن أبي هريرة.

ورواه في كتاب الفضائل في باب اثبات حوض نبيّنا.

ورواه ابن جرير في تفسيره ٤ / ٢٧ بسنده عن قتادة.

ورواه ابن ماجة في صحيحه في ابواب المناسك في باب الخطبة يوم النحر عن ابن مسعود.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٣٦٤ عن سمرة، وص ٣٦٥ عن ابن مسعود.

الأوجه البلاغية في الخطبة

اوّلاً: قوله ﷺ: (محلّي محل القطب من الرحى) فيه ثلاث صور من التشبيهات:

أ ـ تشبيه محله بمحل القطب من الرحى / تشبيه المعقول بالمعقول/ كونه نظام الدولة.

ب ـ تشبيه نفسه بالقطب/ تشبيه للمحسوس بالمحسوس

ج ـ تشبيه الخلافة بالرحى/ تشبيه المعقول بالمحسوس.

لمّا كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية قصد أنّ غيره لا يقوم مقامه في أمر الإمامة.

(ان محلي منها محل القطب من الرحا) تشبيه محض، يقول ﷺ كما أنّ الرحا لا تدور الاّ على القطب ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه كذلك نسبتي إلى الخلافة فانها لا تقوم إلاّ بي ولا يدور امرها إلاّ عليّ هكذا.

وربّما إنّه اراد: أنّي من الخلافة في الصميم وفي وسطها، كما أنّ القطب وسط دائرة الرحا.

ثانياً: قوله ﷺ: (ينحدر عني السيل..) استعار لنفسه وصفين:

أ ـ الانحدار كون الماء في مرتفعٍ كالجبل.

ب ـ كنّى عن علوّه وشرفه وعلمه بالسيل اذ تفيض منه العلوم والتدبيرات السياسية والفقهية.

ثالثاً: قوله ﷺ: (ولا يرقى اليّ الطير..) كناية عن غاية اخرى من العلو.

رابعاً: قوله ﷺ: (فسدلت..) كناية عن احتجابه عن طلب الخلافة والاعراض عنها، استعار لذلك الاحتجاب لفظ الثوب (استعارة المحسوس للمعقول).

خامساً: قوله ﷺ: (طفقت ارتئي.. أنّ أصول بيد جذّاء..).

أجيل الفكر في تدبير أمر الخلافة وأردّه بين طرفي نقيض.

استعار وصف الجذّاء لعدم الناصر، وجه الشبه أنّ قطع اليد يستلزم عدم القدرة على التصّرف وهكذا في عدم الناصر.

سادساً: قوله ﷺ: (طخية عمياء..).

لمّا كان هناك الالتباس والحيرة استعار لفظ الطخية لذلك الالتباس (استعارة المحسوس للمعقول) وجه الشبه أنّ الظلمة كما لا يهتدي فيها للمطلوب كذلك اختلاط الأمور، وهكذا وصف الطخية بالعمى على وجه الاستعارة، لان الاعمى لا يهتدي إلى مطلبه وكذا في هذه الظلمة.

سابعاً: ثُمّ كناية عن تلك الشدّة وما فيها من آثار:

أ ـ يهرم فيها الكبير.

ب ـ يشيب فيها الصغير.

حاصل الامر أن المؤمن يقاسي الشدة من ذلك.

(يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير) يمكن حمل ذلك على الحقيقة ويمكن حمله على المجاز والاستعارة، وعليه فقد اراد ﷺ على معنى الحقيقة: طول المدة، أي طول مدة ولاية المتقدمين عليه فانها مرة يهرم فيها الكبير، ومرة يشيب فيها الصغير. وأمّا على المجاز فإنّه اراد بذلك صعوبة تلك الايام حتّى أنّ الكبير من الناس يكاد يهرم لصعوبتها والصغير يشيب من اهوالها، كقولهم هذا أمر يشيب له الوليد وان لم يشب على الحقيقة.

وفي الكلام تقديم وتأخير وتقديره كالآتي:

ولا يرقى اليّ الطير، وطفقت ارتئي..، فرأيت أن الصبر على هاتا احجى، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، ثُمّ صبرت وفي العين قذى..

ثامناً: اشار في قوله ﷺ أنّه اتخذ طريق الصبر فهو اليق بنظام الاسلام لان

مقاومته ومناهضته للغاصبين الامامة بغير ناصر لا تثمر.

تاسعاً: (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ...).

الواو للحال والجملتان كنايتان عن شدّة ما اضمره من الاذى والغبن الذي لحقه.

عاشراً: (أرى تراثي نهبا ..) وفيها مقاصد:

أ ـ قد يكون مقصده فدكاً وما للزوجة بحكم ملك الزوج.

ب ـ وقد يكون مقصده الخلافة المغتصبة.

ج ـ في العبارة تلويح إلى زمن الرسول وما كان يحضى بالتقدير.

د ـ كما في العبارة تلويح إلى ماكان يعانيه عليه السلام بعد وفاة الرسول وما حصل له من متاعب، ثُمّ شبّه حاله بيومين، احدهما في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وما كان يحضى به من التقدير، واليوم الآخر هو بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وما حصل له من المتاعب ثُمّ الاشارة الى تناقض كلام الخليفة الأول فهو يستعفي من الخلافة ولكن عقدها قبل وفاته الى عمر.

الحادي عشر: (لشد ما شطّر ضرعيها) استعار عليه السلام لفظ الضرع للخلافة استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة، وجه الشبه: هي المشابهة في الانتفاع الحاصل منها.

الثاني عشر: (حوزة خشناء)، كناية عن طباع عمر الخشنة:

أ ـ غلظة كلامه.

ب ـ خشونة طبعه.

الثالث عشر: (يكثر الاعتذار والعتاب..) كناية الى تسرّع عمر في الأحكام.

ثُمّ اقسم بالحبة والنسمة؛ خصّهما بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما يشتملان عليه من لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدائع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم.

يكثر الإمام عليه السلام من تشبيه المعقول بالمحسوس فيقول عليه السلام: مجتمعين حولي

كربيضة الغنم شبّههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الاشياء في مواضعها، وقلة فطانتهم.

فلمّا نهضت بالامر نكثت طائفة و...

الاصناف الثلاثة الذين خالفوه هم:

أ ـ أهل الجمل.

ب ـ أهل صفّين.

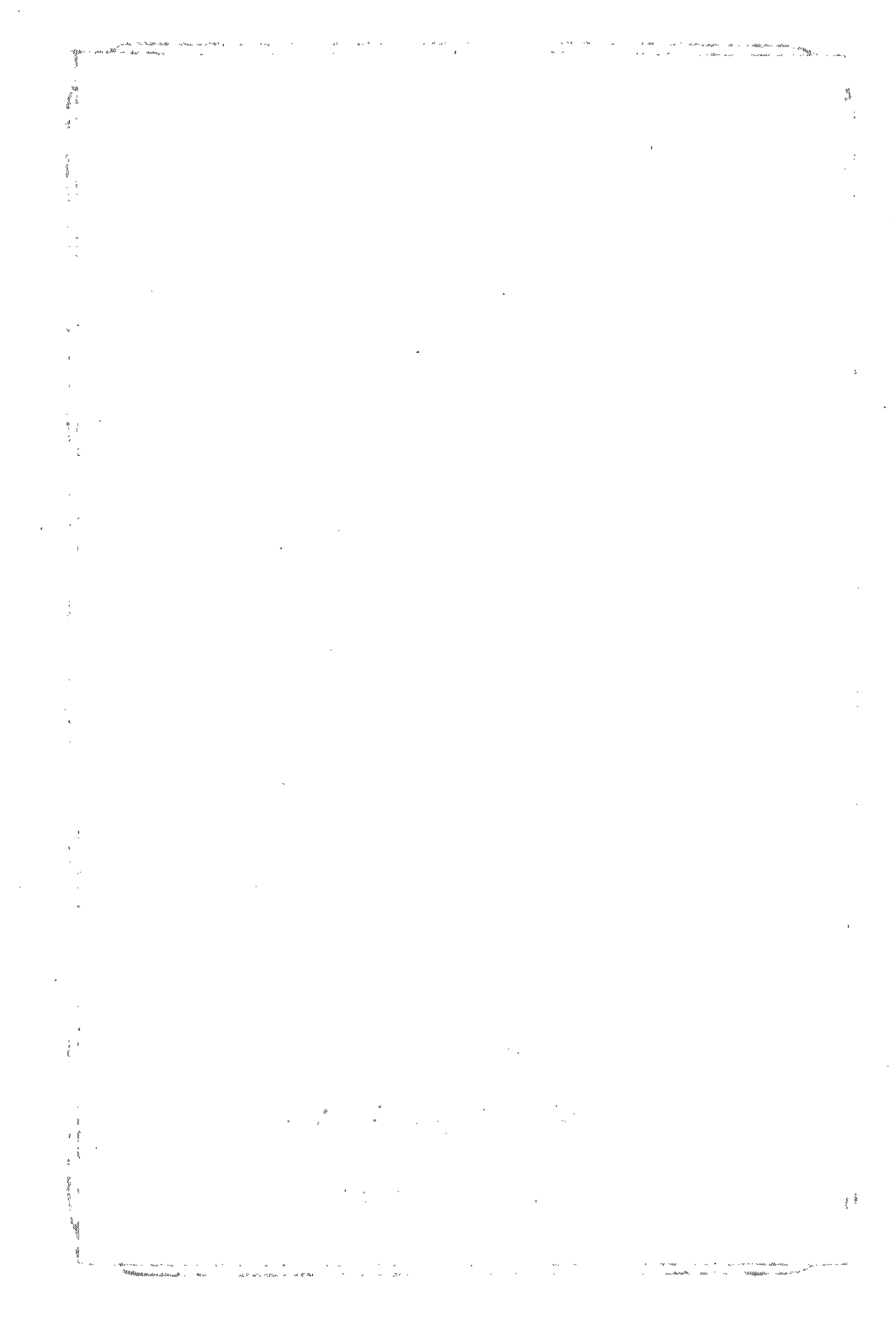
ج ـ أهل النهروان. واوصاف هؤلاء ذكرها النبيّ ﷺ، ثُمّ وصف حال الثالث من الخلفاء وهو يقرّب بطانته بني أميّة، يخضمون (مال الله)؛ الخضم كناية عن كثرة توسّعهم وتصرّفهم بمال المسلمين على يد عثمان.



الفصل السابع

شذرات من غرر الحكم

لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام



من حِكَمِه الغرّاء

قال ﷺ: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته. ومن عَمِلَ لدينهِ كفاهُ اللهُ أمر دُنياه. ومن أحسن فيما بينه وبين اللهِ أحسنَ اللهُ ما بينهُ وبين الناس»[1].

ويروى هذا الكلام كالآتي:

(من اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظٌ كان عليه من الله حافظ)[2].

في هذا النص يؤكّد ﷺ على الاصلاح الداخلي؛ إصلاح النفس وتطهيرها من الآثام والمعاصي، وهذا يعني لابدّ من المراقبة المستمرة من قبل الشخص المعني بالاصلاح.

ثم هناك آثار وضعيّة في غاية الاهمية تدر على الفرد والمجتمع بالنفع فيما اذا أخلص وأصلح المرء نفسه في الخفاء، والاصلاح انّما يتم بالتقوى. والتقوى

---

١. شرح نهج البلاغة، م ٤ / ٤٧١.

٢. باب المختار من حكمة ومواعظه شرح ابن ميثم البحراني ٥ / ٢٨٥، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

معناه اصلاح قوّتي الشهوة والغضب الذين هما مبدَء الفساد بين الناس، ولزوم العدل فيهما يثمر ذلك الاصلاح المرتقب بين المرء والناس.

ومن لوازم ذلك الاصلاح الداخلي الورع في الاكل والملبس والمنطق والسكن، بل كل ما يدور حول الانسان من مظاهر ومنافع.

هذا فيما يخصّ الدنيا أو قل ما يخص اصلاح السريرة، ولا فرق بين النصّين المتقدمين، لان الغاية من اصلاح السريرة هو رضى الله سبحانه وتعالى، ونتيجة ذلك هو صلاح الانسان في العلانية، وهو المنظور اليه طرف الناس.

اما اصلاح الآخرة فهذا يستلزم ترك ما بأيدي الناس وعدم مجاذبتهم دنياهم، ثم لابدّ من الكفّ عن الشره والطمع اللذان يقودان الانسان الى الذل والهوان والضعة.

فمن اصلح آخرته كانت دنياه كذلك، لان صلاح الآخرة نتيجة حتمية للتقوى التي كان عليها المرء في دنياه.

بل الفرد السوي لا يفسد آخرته باعمار دنياه، كما أنّه لا يفسد دنياه بحماقة يرتكبها، بل يزهد من دون عبث وتفريط، وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم: (ولا تنس نصيبك من الدنيا).

ومن غرر حِكَمه قال ﷺ: «الفقيهُ كلُّ الفقيه من لم يُقنِّطِ الناسَ من رحمة الله، ولم يُؤيِسْهُم من روحِ الله، ولم يؤمنهم من مكرِ الله».

خصّ في كلامه ﷺ جنس الفقهاء، العاملون الذين لهم اتصال مباشر بالناس، ثمّ كنّى بقوله «كل الفقيه» أي تمامه، وهو ذلك الفقيه الكامل في علمه واسلوبه، الذي جمع الى فقهه الطرق التي يسلكها في هداية الناس، وجذبهم الى ساحة رحمة الله سبحانه.

العلم وحده لا يكفي بل اسلوب العمل امر ضروري في تجسيد العلم وغرزه في النفوس، اذاً هناك سبل مخصوصة يستفيدها العالم الواعظ في ارشاده؛

مخصوصة بوجوه من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والبشارة والنذارة، فمن تمكّن من هذه السُبل وشوّق الناس الى الانابة والتوبة، كان هو الفقيه كل الفقيه؛ أي العامل بعلمه وحنكته.

فمن لوازم هذا الاسلوب أن لا يقنط الناس من رحمة الله بآيات وعيده ونذارته، ولايؤيسهم بذلك من روحه لما يلزم اليأس من إغراء العصاة بالمعصية واتّباع الهوى الحاضر الذي لا يرجى من نهى النفس عنه ثمرة في الآخرة.

ولذلك قال تعالى يأمر نبيّه الاكرم أن يجذب الناس إلى الربّ العزيز الغفّار:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّـهَ يَـغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١].

ثم اردف سبحانه هذه الآية بقوله العزيز:

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِـيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ۞ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَي عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ ﴾[٢].

ما اروع هذا الخطاب الذي يعلّمنا كيف نؤوب الى الله سبحانه، وندخل في عبوديته الحقيقية: قل يا محمّد هذا نداء من الله لكم ايّها العباد، يا من ارتكب الذنوب والاثام والمعاصي... لازلتم أنتم في عبودية المالك الحقيقي: يا عبادي... نعم نحن عبيدُك يا رب..، يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم....

لا تجعلوا ذلك الاسراف وسيلة للقنوط من رحمة الله.

بل لابد أن يكون لك ايّها العبد أختيار جديد يشكّل منعطفا في حياتك قبل أن

---

١. الزمر / ٥٣.

٢. الزمر / ٥٤ـ٥٦.

يدركك الموت فيأتيك العذاب بغتة....

إنّ الفقيه كلّ الفقيه عليه أن يزرع في قلوب العصاة التوبة ومحبة الله حتّى تزول عنه الظلمة الحالكة، ويبدأ بترميم ما افسده انطلاقا من العفو الرّباني والرحمة الالهية التي وسعت كل شيء...، وسعت كل شيء حتّى انها سبقت غضبه...، فلماذا لا نستفيد طالما رحمته بعنوان هدية الربّ للعبد، فلنأخذ هذه الهدية المباركة لنغسل بها رين القلوب لانّها تغفر الذنوب جمعيا...، إنه هو الغفور الرحيم.

انظر يا عزيزي المؤمن: أنّ في الآية الكريمة تأكيدات عديدة على تلك الرحمة والمغفرة: من ذلك امرنا سبحانه بعدم القنوط.

ثم جاء:

التأكيد الاول: إن الله يغفر الذنوب.

فالتأكيد الثاني: جميعا.

والتأكيد الثالث: إنّ.

والتأكيد الرابع: الضمير المتّصل في إنّه؛ عائد على الرب جلّ ثناؤه.

التأكيد الخامس: الضمير المنفصل (هو).

والتأكيد السادس: الغفور على وزن فعول أي كثير المغفرة مثلها أكول: أي كثير الأكل وخجول أي كثير الحياء والخجل....

والتأكيد السابع: الرحيم: على وزن فعيل أي كثير الرحمة، أي أنّ الله سبحانه وتعالى بعد كل تلك المراحل من قبول التوبة فهناك زيادة... أنّها الرحمة الربانية...، أنّه سبحانه يعلم في كون الانسان خطّاء؛ كثير المعاصي، كثير الخطأ، كثير الغفلة، له شيطان يغويه، ونفس أمارة بالسوء...، أنّه يريد منا أن نؤوب اليه في أي لحظة كانت فسوف نجده هو الرب؛ بكل ما تحويه هذه الكلمة من الرحمة، الكرم، السخاء، الجود، العطف، الحنان، الرأفة، التودّد...، يا لها من كلمة تبعث

الحياة والامل في النفوس، لنتّجه الى هذه الرحمة الكبرى التي وسعت كلّ شيء لنتسابق اليها قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

ثم انتبه يا عزيزي المؤمن: أن العبد ليس من شأنه اليأس، لان اليأس مختص بالكافر قال تعالى: ﴿ ... وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[١].

ثم على الفقيه كل الفقيه: أن لا يؤمّن هؤلاء العصاة من مكر الله بالجزم بآيات وعده وبشارته لما يستلزم الركون الى ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾[٢].

ومن غرر حِكَمِه قال ﷺ: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجةٌ فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله ﷺ، ثمّ سَلْ حاجتَكَ فأنّ الله اكرمُ من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى».

في هذا النص يعلّمنا اميرالمؤمنين ﷺ أدب الدعاء وكيف نستفتح حوائجنا. أمر ﷺ بتقديم سؤال الصلاة على النبي ﷺ وهو امر مطلوب محبّذ بل هذا الامر قد صدر من المولى سبحانه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[٣].

فلمّا كان سبحانه (يصلّي) أي (يدعو) وهو نوع من التكريم، فيه من الرحمة والرضوان ورفع لمقام النبي ﷺ مالا يخفى، فهذا الدعاء من الناس ايضا مرغوب فيه محبّذ.

---

١. يوسف / ٨٧.

٢. الاعراف / ٩٩.

٣. الاحزاب / ٥٦.

ولما كانت الدعوة الاولى مجابة من الله سبحانه بالاتفاق فيجب من كرمه أجابة الدعوة الثانية وهي حاجة العبد. ومحال أن يعطي احداها ـ الصلاة على النبي ـ ويبخل في الأُخرى وهي المسألة من العبد.

وينبغي على المرء أن يأتي بالصلاة الكاملة لا البتراء. فقد سئل النبي عن الصلاة البتراء فقال ﷺ أي: تصلّون عَلَيّ ولا تصلّون على أهل بيتي.

فالصلاة البتراء منهي عنها. بل الصيغة الصحيحة أن تقول: «اللّهمّ صلّى على محمّد وآل محمّد».

والاحاديث في ذلك عديدة والصلاة على النبي ﷺ تذهب النفاق عن القلب، وتزيد في الرزق، وتثقل الميزان ـ ميزان الاعمال ـ بالحسنات.

وربّما تسنح لي الفرصة في مناسبة أخرى أن افرد بحثاً في ثواب الصلاة على النبي وآله إن شاء الله.

ومن غرر حِكَمِه، قال عليه السلام: ما كان الله ليفتح على عبدٍ بابَ الشكر ويُغلِقَ عنه باب الزيادة، ولا ليفتحَ على عبدٍ بابَ الدعاء ويُغلِق عنه باب الاجابة. ولا ليفتح عليه بابَ التوبة ويُغلق عنه باب المغفرة[1].

ثلاث خصال ينبغي على المرء أن يلتزم بها ويدوام عليها:

الخصلة الاولى: الشكر؛ وتصديق ذلك في كتاب الله قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2].

والخصلة الثانية: الدعاء في كل آن وعلى كل حال؛ في الرخاء والشدّة، وفي العسر واليسر. وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

---

١. شرح نهج البلاغة م ٤ / ٤٧٥.

٢. ابراهيم / ٧.

دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢].

والخصلة الثالثة: التوبة والإنابة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[٣].

هذه الخصال أو الابواب الثلاثة إذا طرقها العبد فانّها تفتح له بلا تردد وبلاشك، بشرط التوجه الحقيقي والاخلاص فيما يقوم به، لان الاخلاص هو سبب في اعداد النفس لقبول صورة الرحمة الالهية من واهبها؛ فالشكر للزيادة، والدعاء لإجابته، والتوبة لقبولها وإسقاط ثمرة المعصية.

فاحرص ايّها الانسان كل الحرص أن لا تغرّك الدنيا بزهوها وزبرجها، واعلم أنّ الدنيا فانيةٌ، والمال فانٌ، وكل لهو ولعب فانٍ، فما من لذّة الاّ وهي فانية، ولكن تبقى تبعتها، امّا العمل الصالح فهو مخلّد باقٍ، واثره ينمو، وحصاده في الآخرة.

---

١. البقرة / ١٨٦.

٢. غافر / ٦٠.

٣. النساء / ١٧.

الفهرس

المقدمة.. ٥

الفصل الأوّل

من خطبة له ﷺ: يصف فيها عظمة الله وجلالة قدرته

اوّلها: (كلّ شيء خاضع له...) / ٩

تسلسل الخطبة في مصادر النهج.. ١١
كل شيٍ خاضع.. ١٢
قدرة الله.. ١٢
الملائكة الكرام.. ١٣
عصيان الخلق.. ١٣
القيامة.. ١٤
زهد النبي.. ١٥
أهل البيت.. ١٥
مصادر الخطبة:.. ١٥
صفة الخطبة وقائلها.. ١٦

وقال العلاّمة المرحوم مغنية ١٦
صدر الخطبة ١٧
معاني المفردات ١٨
مضامين مقتبسة من القرآن الكريم ٢٣
الأوجه البلاغية ٢٧
شرح الخطبة ٣٢
وامّا الصفات السلبية، فهي: ٣٧
الملائكـــة ٤٠
ذم الدنيا و التحذير من الركون إليها ٤٣
سكرات الموت ٤٧

الفصل الثاني

من خطبة له ﷺ: يصف فيها حال العرب قبل الاسلام

قوله: (بنا اهتديتم في الظلماء...) / ٦٣

خطبة (بنا اهتديتم) ٦٥
مصادر الخطبة ٦٦
معاني المفردات ٦٦
الأوجه البلاغية في النص ٦٨
خصائص الخطبه ومضامينها ٧٣

الفصل الثالث

من خطبة له ﷺ: يصف فيها المتقين / ٧٩

خطبة اميرالمؤمنين ﷺ: يصف فيها المتّقين ٨١
مصادر الخطبة ٨٣

شرّاح الخطبة ٨٥
تسلل الخطبة ٨٦
معاني المفردات ٨٧
من هو همّام ؟ ٨٨
المدخل الى الخطبة ٩١
شرح الخطبة ٩٤
مجمل صفات المتّقين السابقة ١٠٠
القرآن يأمرنا بالتقوى ١٠٢
ثمرة التقوى ١٠٤
من صفات المتّقين : الحب في الله ١٠٦
الحـــب ١٠٧
منزلة اللسان من الجسد ١٠٩
آفة اللسان وفضل الصمت ١٠٩
ومن صفات المتقين ١١٠
العفو عمن ظلمهم ١١٠

الفصل الرابع

من خطبة له ﷺ : يصف فيها المنافقين / ١١٧

خطبة أمير المؤمنين ﷺ : يصف فيها المنافقين ١١٩
مصادر الخطبة ١٢٠
معاني المفردات ١٢٠
الاوجه البلاغية في النص ١٢٢
شرح الخطبة ١٢٥
ظاهرة النفاق متى و كيف بدأت ؟ ١٢٨

فالذنوب أقسام ١٢٩
ما ورد في ذم المنافقين ١٣٠
اصناف الناس ١٣٠
مكانة المنافق ١٣٢
هل يوجد فرق بين طبيعة الانسان وبين تطبّعه ؟ ١٣٥
صفات المنافق ١٣٦
متى يظهر المنافق انتسابه الى الحق ؟ ١٣٦
منهج النفاق والمنافقين ١٤٣
صفات المنافق ١٤٥

الفصل الخامس

ومن كلام له عليه السلام: عند دفن سيّدة النساء فاطمة عليها السلام / ١٤٩

خطبة الامام اميرالمؤمنين عليه السلام لما دفن الزهراء عليها السلام ١٥١
وَ مِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام ١٥١
مصادر الخطبة ١٥٢
ألاوجه البلاغية في النص ١٥٢
الشــــرح ١٥٢
الجــواب ١٥٤
تتابع فصول الخطبة ١٥٦
قبس من فضائل فاطمة عليها السلام ١٦٠

الفصل السادس

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: وهى المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة / ١٦٧

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام : وهي المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة ١٦٩

مصادر الخطبة الشقشقيّة ١٧١

شرح الخطبة ومفرداتها ١٧٤

ما نقله ابن أبي الحديد في شأن الخطبة ١٧٨

تسمية الخطبة ١٧٩

الأبعاد الحسيّة للخطبة ١٨٢

الأوجه البلاغية في الخطبة ١٨٣

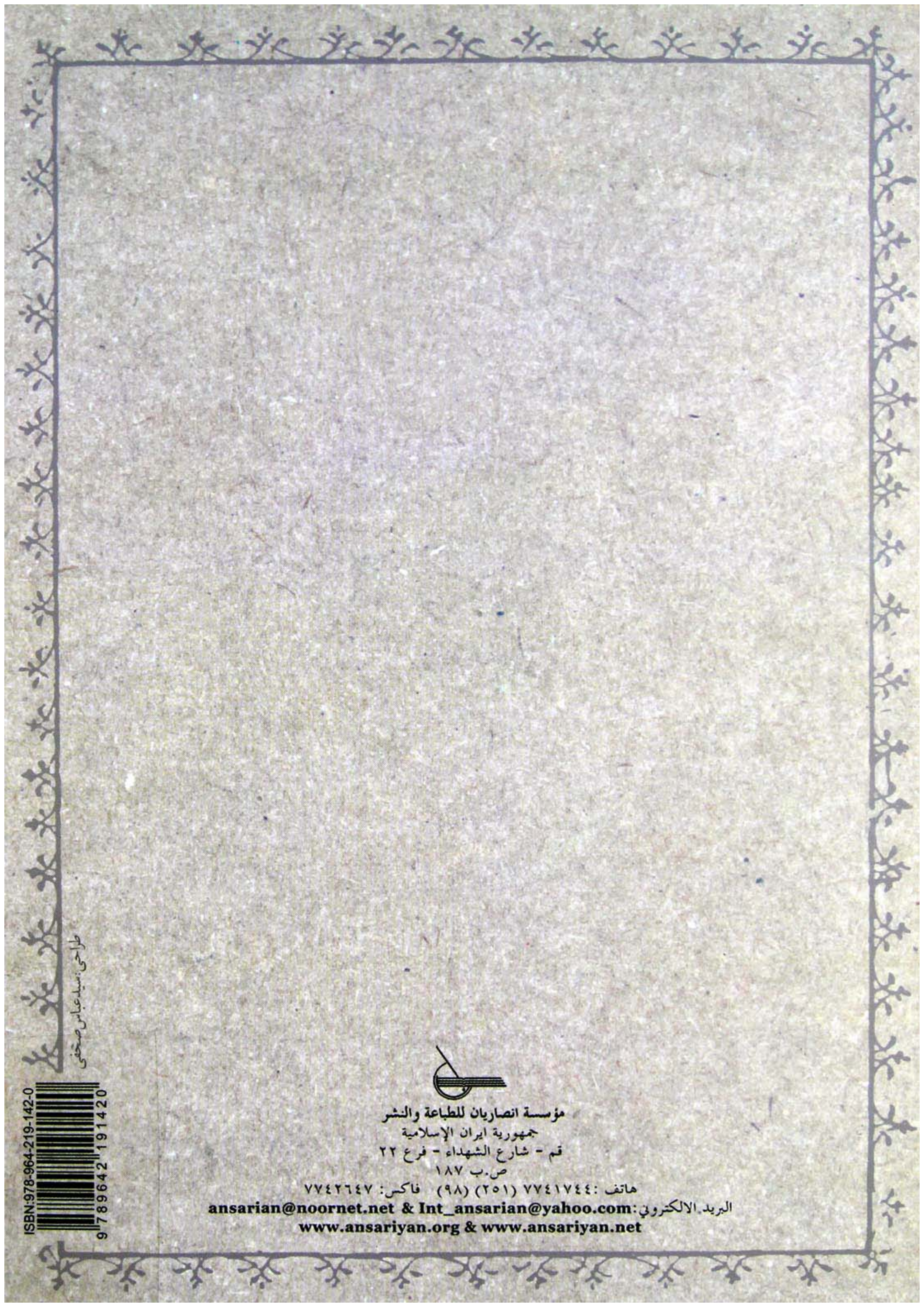
الفصل السابع

شذرات من غرر الحكم: لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام / ١٨٧

من حِكَمِه الغرّاء ١٨٩

ويروى هذا الكلام كالآتي ١٨٩





مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net & Int_ansarian@yahoo.com
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

ISBN: 978-964-219-142-0
9789642191420

طراحی: سید عباس صحفی